مجلة شهرية

Issue No: 173 عدد:

January 2022 شهر كانون ثانٍ

نور المسيح يسوع المسيح

ΦΩΣ الغالب XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

ميلاد ربّنا يسوع المسيح بالجسد

ميلادك أيُّها المسيح إلهنا،
قد أشرقَ نور المعرفة للعالم. لأنَّ الساجدين للكواكب
به تعلَّموا من الكوكب السجودَ لكَ يا شمس العدل.
وأن يعرفوا أنَّك من مشارق العلوّ أتيت.
يا ربُّ المجد لك

الظهور الإلهي

باعتمادك يا ربّ في نهر الأردن،
ظهرت السجدة للثالوث، لأنَّ صوت الآب تقدَّمَ لكَ
بالشهادة، مسميًّا إيَّاكَ ابنًا محبوبًا،
والرُّوح بهيئة حمامة يُؤَيِّد حقيقة الكلمة
فيا من ظهرتَ وأنرتَ العالم، يا ربّ المجد لك.

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة ميلاد ربِّنا وإلهنا ومخلصنا

يسوع المسيح بالجسد – (شرقي) 24/12/2020

الآبُ قَدِ ٱرتضى. والكَلِمَةُ صارَ جسدًا.
والبَتولُ قد وَلَدَتْ إلهًا مُتَأَنِّسًا.
الكَوكَبُ يُبَشِّر. والمجوسُ يَسْجُدون.
والرُّعَاةُ يَتَعَجَّبُون. والخَليقَةُ تَبْتَهِج.
(من أينوس عيد الميلاد).

اليومَ تُعيِّدُ الكنيسةُ بفرحٍ وابتهاجٍ وشكرٍ وتمجيدٍ لله الّذي تنازلَ نحوَ الإنسانِ. اليومَ تُكْرِزُ الكنيسةُ لأعضائِها مذيعةً للمسكونةِ والخليقةِ أجمع باتّصالِ واتّحادِ السّماءِ والأرضِ والتقاءِ **اللهِ والإنسان**. اليومَ تَمَّ ما تَفوَّهَ بِهِ **اللهُ**: «إِنِّي سَأَسْكُنُ فِيهِمْ وَأَسِيرُ بَيْنَهُمْ» (لاو ٢٦: ١١ ، ٢ كو ٦: ١٦). اليومَ تَحَنُّنٌ لله يفوقُ عدلَهُ. اليومَ يملأُ **اللهُ** الخليقة بالصَّفحِ والمغفرة. اليومَ أَرْسَلَ اللهُ فِدَاءً لِشَعْبِهِ (لو ١: ٦٨) اليومَ يُصَالِحُ اللهُ الْعَالَمَ لِنَفْسِهِ فِي الْمَسِيحِ. (٢ كو ٥: ١٩) اليومَ يَتَغاضَى الله عَنْ أَزْمِنَةِ الْجَهْلِ (أع ١٧: ٣٠) وعن **خطيئةِ الإنسانِ** ويَفْتَقِدُهُ في **ابنِهِ الوحيد وكلِمَتِهِ**.

يعملُ اللهُ مِنْ أقصى محبَّتِهِ للبشرِ فقدْ سُرَّ في الأزمنةِ الأخيرةِ أن يُظْهِرَ في العالمِ **كلمَتَهُ وابنَهُ الوحيدَ** المحبوبَ بالجسدِ منظورًا، **المُساوي لهُ في الجوهرِ، والجالسَ معَهُ على العَرشِ**. فبحَسَبِ إنجيليِّ المحبّة **يوحنا اللاهوتي**: « وَالْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا» (يو ١: ١٤).

بمسرّةِ الآبِ اتَّخَذَ الابنُ جسدًا منَ الرُّوحِ القُدُسِ ومنَ العذراء مريم.
اتَّخَذَ جسدًا عاقلًا مع نفسٍ، وَوُلِدَ بالجسدِ **منَ البتولِ** فَتَمَّ قولُ **إشعياءَ** الّذي سبقَ وقالَ عنهُ: «هُوَذَا الْعَذْرَاءُ تَحْبَلُ وَتَلِدُ ابْنًا، وَيَدْعُونَ اسْمَهُ عِمَّانُوئِيلَ وَالَّذِي تَفْسِيرُهُ: اَللهُ مَعَنَا» (إش ٧: ١٤ ، متى ١: ٢٣). كما يقولُ المرنّمُ: «لقد صارَ الإلهُ إنسانًا لكي يجعلَ الإنسانَ إلهًا بالنعمة». وكما يقول **أبُ الكنيسةِ المميّزِ القديسُ أثناسيوس الكبير**: لقد تأنّسَ كلمةُ اللهِ لكي نتألّهَ نحنُ، فقد أظهرَ نفسَهُ بالجسدِ لكي يُعطينا فكرةً عن الآبِ غيرِ المنظورِ (حول التجسد،٥٤) وكيفَ يصيرُ هذا؟ وكيف حدَثَ الحمْلُ والولادةُ بدون زرعٍ؟ قد صارَ، كما بشّرَ **الملاكُ العذراءَ** قائلًا: «الْقُدُّوسُ الْمَوْلُودُ مِنْكِ يُدْعَى ابْنَ اللهِ.»

(لو١: ٣٥) وأيضًا: «حيثما يشاءُ الإلهُ يُغلَبُ نظامُ الطَّبيعة» كما كُتِبَ. لقد **وَلَدَتِ البتولُ الإلهَ المتأنّسَ** وليسَ إنسانًا مُتألِّهًا، لهذا تُعَظَّمُ **كوالدةِ الإله**، وقد حصلَ هذا من أجلِ إعادةِ جِبِلَّةِ كلِّ الجنسِ البشريِّ وتغييرِه وإعادةِ ولادتِهِ من جديد. لقد أُخِذَ الإنسانُ منَ **اللهِ في المسيحِ** لكي يُشارِكَ الألوهةَ الّتي كما يقولُ **بطرس الرّسول**: «شُرَكَاءَ الطَّبِيعَةِ الإِلهِيَّةِ » (بط٢: ١-٤) ، «وخَلِيقَةٌ جَدِيدَةٌ» بحسبِ **رسولِ الأمم** (٢كور:٥: ١٧) إنَّ هذا التّغييرَ البهيَّ الفائقَ الجمالَ للإنسانِ، أي تغيّرُهُ من أرضيٍّ لإنسانٍ سماويٍّ يَتَحقَّقُ سرِّيًّا وبالفعلِ بتعاونِ الإنسان، وذلك لأنَّ **المسيحَ المتأنسَ** قدْ أخذَ كلَّ الإنسانِ كما تُرتِّلُ الكنيسةُ: لقد اتَّخَذْتَ كُلَّكَ كُلَّ ما هو لي باتّحادٍ لا اختلاطَ فيه.

إنَّ هذا السِّرَّ الّذي يَشْهَدُ على نزولِهِ وابتدائِهِ منَ السّماءِ ومنَ **اللهِ** يَتحقَّقُ في مجرى تاريخِ البشريّةِ، قدْ تَمَّ الإعلانُ عنهُ زمنَ اكتتابِ النّاسِ في كلِّ المسكونةِ على عهدِ **الإمبراطور الرّوماني أُكتافيوس أُغسطس قيصر** في أرضِ بيتَ لحم المقدّسة الّتي ليستْ بِصُغرى، ولهذا دُعيتْ أنْ تشاركَ الخليقةَ كلَّها، فالسّماويّونَ عَبْرَ النَّجمِ البَهِيِّ يقودونَ منِ بعيدٍ المجوسَ الحكماءَ ملوكَ الفرسِ مستكشفي النّجوم والكواكب كبدايةِ الكنيسةِ الّتي منَ الأمم. **والملائكةُ** من السّماءِ يرتّلون: «الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَفِي النَّاسِ الْمَسَرَّةُ» يدعونَ الرّعاةَ الساهرين، وفلاحي الأرضِ في القريةِ المجاورةِ قريةِ الرّعاة. والمجوسُ والرعاةُ معًا يأتونَ إلى الموضعِ منحنينَ بِتَقْوَى، وساجدينَ، مقدّمينَ هداياهم لأنّهم مُتَعَرِّفونَ على المنزَّهِ عن الزّمانِ طِفلًا موضوعًا في الْمغارة.

إنَّ الّذي لَبَسَ الجسدَ لأجلِنا وظهرَ بالجسدِ كطفلٍ صغيرٍ، ووُلِدَ في المغارةِ وأُضْجِعَ في المذودِ وَأُدْرِجَ في الأقمطةِ. وهوَ الّذي لَمَّا ابْتَدَأَ كَانَ لَهُ نَحْوُ ثَلاَثِينَ سَنَةً (لوقا ٣: ٢٣) وأُومِنَ به وعُرِفَ أنّهُ **يسوعُ**

المسيح ابنُ اللهِ وابنُ الإنسانِ الّذي من النّاصرة، الإلهُ المتأنّسُ في أقنومِهِ الواحدِ في طبيعتَيْنِ وفِعْلَيْنِ وإرادَتَيْنِ « فهوَ الّذي مَسَحَهُ اللهُ بِالرُّوحِ الْقُدُسِ وَالْقُوَّةِ، الَّذِي جَالَ يَصْنَعُ خَيرًا وَيَشْفِي جَمِيعَ النّاس» (أعمال ١٠ : ٣٨) وبالصّليبِ وبعد قيامتِهِ منْ بَيْنِ الأمواتِ وصُعودِهِ إلى السّماواتِ أصعدَ معهُ الطّبيعَةَ الْبشريَّةَ إلى السَّماءِ وَأَجْلَسَها عنْ يمينِ **الآبِ** وألّهَها.

جلسَ **المسيحُ** عنْ يمينِ **الآبِ** وأرسلَ منه روحَهُ، **الرّوحَ المُعَزّي**، روحَ استنارةِ الذّهنِ وقوّةِ الفكرِ **لتلاميذِهِ**. إنَّ عملَهُ هذا عملُ مصالحةٍ **للهِ** مع **الإنسانِ**، وعملُ سلامٍ ومحبّةٍ وأيضًا نحوَ الأعداءِ، والتّقديسِ ومغفرةِ الخطايا، يُتَمّمُهُ إلى منتهى الدهرِ جسدُ **المسيحِ** أي **الكنيسةُ** «الّتي أَحَبَّها وَأَسْلَمَ نَفْسَهُ لأَجْلِهَا» (أفسس٥:٢٥) الّذي هو رأسُها. إنَّ الكنيسةَ ليستْ شاهدةً فقط على الأرضِ لحضورِ تجسّدِهِ المحسنِ بلْ هيَ تستمرُّ في عملِهِ. وهيَ تأخذُ الإنسانَ من البدايةِ حتّى نهايةِ حياتِهِ، وتجعلُهُ بالمعموديّةِ عضوًا بِها وتُجمّلُ وتهذّبُ أخلاقَهُ وترفُضُ العنفَ بجميعِ أشكالِهِ وتُطْعِمُ الجياعَ، وتُخرِجُ المأسورينَ وهيَ واحةُ يُنبوعِ ماءٍ حيٍّ للّذين في الصّحراءِ، والوحيدينَ في هذا العالَمِ، ومكانُ صلاةٍ منْ أجلِ شفاءِ المصابينَ بمرضِ «**كوفيد١٩**» المُعدي ، وتقديمِ المساعداتِ المتنوّعةِ للمتضرّرينَ جَرّاءَ الوقايةِ منْ هذهِ الجائحةِ.

إنَّ عَمَلَ **كنيسةِ أوروشليمَ مع أَخَويّةِ القبرِ المقدّسِ** حفظُ الأماكنِ المقدّسةِ والعملُ في الأراضي التّاريخيّةِ لظهورِ **المسيحِ** بالجسدِ، واليومَ وفي مكانِ **ولادةِ المسيحِ** بالجسدِ في هذهِ المغارةِ المتواضعةِ القابلةِ **الإلٰهَ** والمذودَ الصّغيرَ وَمِنْ هذهِ الكنيسةِ الملكيّةِ الّتي مِنْ عَهْدِ **الأباطِرَةِ قسطنطين ويوستينيانوس** وبينما هيَ ترتّلُ بفرحٍ «قد وُلِدَ لنا صبيٌّ وابنٌ أُعطينا» تُصلّي من أجلِ سلامِ كلِّ الشّرقِ الأوسطِ ومنْ أجلِ سعادةِ أبناءِ رعيّتِها على هذهِ الأرضِ وفي كلِّ أرض، وعودةِ الزّوارِ الأتقياءِ المعيّدينَ معنا في أمِّ الكنائسِ وفي أمِّ الأعيادِ، في هذا المكانِ حيثُ وُلِدَ رئيسُ السّلامِ.

في مدينةِ بيتَ لحمَ المقدَّسَةِ

عيدُ الميلادِ المجيدِ ٢٠٢٠

الداعي لكم بحرارة بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

وُلِدَ **المسيح** في **بيت لحم** في الوقت الذي أَمَرَ فيه **أُغسطس قيصر** أنْ يُنَظِّمَ الاكتِتَاب (الإحصاء) الأوَّل. ولكن ربما **يسأل** واحدٌ، ما هي الضرورة التي جعلت البشير الحكيم جدًّا أنْ يذكر هذا الأمر بنوعٍ خاص؟

أُجيب: نعم، أنَّهُ كان أمرًا نافعًا كما أنَّهُ أمرٌ ضروري أنْ يحدِّد الفترة التي وُلِدَ فيها **المخلِّص**. لأنّه قد قيل بصوت رئيس الآباء (**يعقوب**):«لا يزول رأس من يهوذا، ولا مشترع من بين رِجليه، حتى يأتي الذي جُعل له. وهو انتظار الشعوب» (تك ٤٩: ١٠ حسب الترجمة السبعينيَّة).

وَذُكِرَ هذا الأمر أيضًا لكي نعرف أنَّ **الإسرائيليين** لم يكن لهم في ذلك الوقت **مَلِكٌ** من عشيرة **داود**، وأنَّ حُكَّامهم الذين منْ أُمَّتهم **قد سقطوا**. فهو لسبب مناسب يذكر **أوامر قيصر**. فإنَّ اليهود وبقيَّة الأُمم كانوا تحت سلطان حكمهِ. فهو إذنْ حاكمًا لهم، أَمَرَ أنْ يُجرَى هذا الإحصاء.

«لكونه من بيت داود وعشيرته» (لو ٢: ٤).

إنَّ الأناجيل المقدَّسة بإرجاعها نَسَب **المسيح** إلى يوسف، الذي منْ بيت داود، قد أثبتت منْ خلال يوسف أنَّ **العذراء** أيضًا كانت منْ نفس عشيرة **داود**. ذلك أنَّ الناموس الإلهي قد أَمَرَ أنَّ التزاوج ينبغي أنْ يكون محصورًا بين أشخاص منْ نفس العشيرة. ومُفسِّر التعاليم السماويَّة، **الرسول العظيم بولس** يُعلن الحقّ بوضوح، فهو يشهد أنَّ **الرَّبّ** خرج من **سبط يهوذا**. (عبرانيين ٧: ١٤).

إنَّ الطبائع التي اجتمعت إلى هذا الاتحاد الحقيقي هي مع ذلك مختلفة عن بعضها، ولكن مِنَ الاثنين معًا أي مِنَ الطبيعتين هو واحد، أي **الله الابن** دون أن يُضَيِّع تمايز الطبيعتين بسبب الاتحاد، لأنّه صار اتحاد مِنَ الطبيعتين، ولذلك فنحن نعترف **بمسيح** واحد، (هو إله كامل وإنسان كامل ما خلا الخطيئة)، ونحنُ بالإشارة إلى فكرة الاتحاد هذه بدون اختلاط، فإنَّنَا نعترف **بالقديسة العذراء أنَّها والدة الإله**. لأنَّ **الله الكلمة** أخذَ جسدًا وصار إنسانًا، وبالحبل به في بطنها وجد الهيكل الذي اتخذه منها بنفسه.

فإنَّنا نرى أنَّ طبيعتين – بواسطة اتحاد لا انفصال فيه – قد اجتمعتا معًا فيه بدون اختلاط وبدون انقسام، لأنَّ الجسد هو جسد وليس لاهوتًا، رغم أنَّه قد صار جسد **الله**، وبنفس الطريقة أيضًا فإنَّ **الكلمة هو إله** وليس جسدًا، رغم أنّه بسبب التدبير قد جعل الجسد جسده. ولكن رغم أنَّ الطبائع التي اجتمعت في تكوين الاتحاد هي مختلفة إحداها عن الأُخرى، كما أنَّها غير متساوية بعضها مع بعض، إلَّا أنَّ ذلك الذي تكوَّنَ من الطبيعتين معًا هو واحد فقط له طبيعتان، **طبيعة إلهيّة وطبيعة إنسانيّة**، ونحنُ لا نفصل **الرّب الواحد يسوع المسيح** إلى إنسان وحده وإله وحده، بل نحنُ نؤكّد أنَّ **المسيح يسوع** هو واحد، معترفين بالتمايز بين الطبيعتين الإلهيّة والإنسانيّة بدون أن نخلطهما الواحدة بالأخرى.

«مع مريم امرأته المخطوبة وهي حبلى» (لو ٢: ٥).

يقول القديس البشير إنَّ **مريم** كانت مخطوبة ليوسف، لكي يُبَيِّنَ أنَّ الحمل حدثَ وهي مخطوبة فقط، وأنَّ **ولادة عمانوئيل** كانت معجزةً، ولم تكن بحسب قوانين الطبيعة. لأنَّ **العذراء القديسة** لم تحمل منْ زرع إنسان. والسؤال هو لماذا حدث هذا ؟

المسيح الذي هو باكورة الجميع، وهو **آدم الثاني** حسب الكُتب، قد وُلِدَ مِنَ **الرُّوح** لكي ينقل هذه النعمة (نعمة الولادة الروحيَّة) إلينا نحنُ أيضًا. فنحنُ أيضًا قد أُعِدَّ لنا ألَّا نحمل فيما بعد اسم ابناء البشر، بل بالأحرى نولد مِنَ **الله**، وذلك بحصولنا على الميلاد الجديد مِنَ **الرُّوح** الذي تمَّ في **المسيح** نفسه أوَّلًا، «لكي يكون هو مُتَقَدِّمًا بينَ الجميع»

(كو١:١٥)، كما يُعلن **بولس الحكيم جدًّا**. إنَّ فرصة الإحصاء كانت سببًا مناسبًا جدًّا لكي تذهب **العذراء** إلى بيت لحم، لكي نرى نبوَّة أُخرى تَتحقَّق. لأنَّه مكتوبٌ: «أَمَّا أَنْتِ يَا بَيْتَ لَحْمَ أَفْرَاتَةَ، وَأَنْتِ صَغِيرَةٌ أَنْ تَكُونِي بَيْنَ أُلُوفِ يَهُوذَا، فَمِنْكِ يَخْرُجُ لِي الَّذِي يَكُونُ مُتَسَلِّطًا عَلَى إِسْرَائِيلَ» (ميخا٥:٢). ولكن أولئك الذين يجادلون ويقولون: إنْ كان هو قد جاء في الجسد فتكون **العذراء** قد فسدت، وإنْ لم تكن قد فسدت فإنَّه يكون قد جاء **بطريقة خياليَّة فقط**.

هؤلاء نقول لهم إنَّ **النبيّ** يُعلن:«أنَّ الرَّبّ إله إسرائيل قد دخل وخرج ، والباب يظلّ مُغلقًا» (حزقيال ٤٤:٢). وأيضًا إنْ كان الكلمة قد صار جسدًا بدون تزاوج جسدي، إذ أنه حُمِلَ به دون زرع بشر، فإنَّه إذن وُلِدَ دون أن تُمَس عُذْرِيَّتُهَا.

«وبينما هما هناك تمَّت أيامها لتلد، فولدت ابنها البكر وقمّطته وأضجعته في المذودِ» (لو ٢:٦–٧).

ما معنى **بكرها ؟** إنَّ معنى البكر هنا ليس الأول بين أخوة عديدين، بل هو ابنها الأول والوحيد، فإنَّ هذا هو المعنى من بين المعاني التي تُفسَّر بها كلمة «البكر». لأنَّ الكتاب المقدَّس أحيانًا يسمِّي الوحيد بالأوَّل كما هو مكتوب: «أنا الله، أنا الأوّل وليس هناك آخر معي» (إش ٤٤:٦ حسب الترجمة السبعينيَّة).

فلكي يتَّضح أنَّ **العذراء** لم تَلِد مُجرَّد إنسان، لذلك أُضيفت كلمة «البكر»، وحيث أنَّها ظلَّت **عذراء** فلم يكن لها ابن آخر إلَّا ذلك الذي هو من **الله الآب**، والذي بخصوصه أَعلن أيضًا **الله الآب** بصوت **داود**: «وأنا أجعلهُ بكرًا عاليًا عند ملوك الأرض» (مزمور ٨٨:٢٧).

ويقول عنه **بولس الكلّي الحكمة** أيضًا: « متى أَدخل البكر إلى العالم يقول: ولتسجد له كل ملائكة الله» (عبرانيين١:٦). فكيف إذنْ دَخل إلى العالم؟ لأنه منفصل عن العالم، ليس من جهة المكان بقدر ما هو من جهة الطبيعة. فإنَّه يختلف عن سكان العالم في الطبيعة، ولكن دخل العالم بأنْ صار إنسانًا، وبذلك صار جزءًا منَ العالم بالتجسُّد، ورغم أنّه هو الابن الوحيد منْ جهة ألوهِيَّته، إلَّا أنَّهُ لكونه صار أخًا لنا، فقد أصبح له اسم «البكر»، ولكي يصير الباكورة لتبنِّي البشريَّة، فإنَّهُ يمكنه أنْ يجعلنا أيضًا أبناء الله.

لذلك لاحظوا، أنَّهُ يُدعَى البكر من جهة التدبير (١)، لأنَّهُ من جهة ألوهيّته هو الابن الوحيد. وأيضًا فأنَّهُ، الابن الوحيد منْ جهة كونه **كلمة الآب** الذي ليس له إخوة بالطبيعة ولا يوجد أي كائن مشترك معه. لأنَّ **ابن الله المساوي للآب**، هو واحد ووحيد، ولكنه يصير بكرًا بتنازله إلى مستوى المخلوقات.

لذلك حينما يُدعَى الابن الوحيد، فأنَّهُ يُدعى هكذا دون أن يكون هناك سبب آخر لكونه الابن الوحيد، إذ هو **الأله** الوحيد الجنس الذي في حضن **الآب** (يو١:١٨) ولكن حينما تدعوه الكُتب الإلهيَّة «البكر» فإنَّها تضيف حالًا علَّة السبب الذي منْ أجله حمَلَ هذا اللقب فتقول الكُتب : «الْبِكْرَ بَيْنَ إِخْوَةٍ كَثِيرِينَ» (رو٨:٢٩) ، وأيضًا « البكر من الأموات» (كو١:١٨)، ففي المرّة الأولى دُعِيَ «بِكرًا بين إخوة كثيرين» بسبب أنه صار مثلنا في كُل شيء ما عدا **الخطيئة**، وفي المرّة الثانية دُعيَ «البكر من الأموات» لأنَّهُ هو الأوّل الذي أقام جسده إلى حالة عدم الفساد.

وأيضًا هو كان دائمًا منذ الأزل الابن الوحيد بالطبيعة، لكونه الوحيد المولود مِنَ **الآب**، إله من إله، وحيد من وحيد، إله أشرق من إله، نور من نور، ولكنه هو «البكر» لأجلنا نحن حتى عندما يُدعى بكرًا للمخلوقات، فإنَّ كُلَّ مَنْ يُشابهه يخلص بواسطته. فإنْ كان هو بالضرورة يصير «البكر» فبالتأكيد لابدّ أنْ يكون هناك أولئك الذين يكون هو بِكرًا لهم. ولكن إنْ كان ـ **كما يقول يونوميوس** ـ إنه يُدعى بكر الله المولود الأوّل بالنِّسبة لكثيرين، وأنَّه هو أيضًا **بكر العذراء**، ففي هذه الحالة إذن يلزم أن يصير هو الأوّل قبل طفل بعده بالنسبة لها. ولكن إن كان يُدعى **بِكر مريم** باعتباره الابن الوحيد، وليس هناك من يأتون بعده، إذن فهو أيضًا بكر الله لا كالأوّل بين كثيرين، بل هو المولود الواحد والوحيد.

وبالإضافة إلى ذلك إنْ كان الأوّل يُعترف به أنّهُ عِلَّة الثاني، فإنَّ الله هو الأوّل، وحينئذ **فالابن** هو علَّة أولئك الذين نالوا لقب الأبناء، لأنّهم بواسطته قد حصلوا على هذه التسمية، لذلك وهو علَّة وجود الأبناء الذين أتوا بعده فإنّه يُدعى البكر بحقّ، لا لأنَّهُ هو أولهم، بل لكونه العلَّة الأولى لحصوله على لقب التبنِّي. وكما أنَّ **الآب** يُدعى الأوّل لأنه يقول: «أنا الأول وأنا بعد هذه الأشياء» «إش ٤١:٤)، وهو بالتأكيد لا يريدنا أن نعتبره مشابهًا بالطبيعة لأولئك الذين يأتون بعده، هكذا أيضًا فرغم أنَّ **الابن** يُدعى بكر الخليقة، أو البكر قبل كُل خليقة، فهذا ليس معناه أنه واحد من الأشياء المخلوقة، بل كما أنَّ **الآب** قال: «أنا الأوّل» لكي يوضح أنه أصل كُل الأشياء، فبنفس المعنى يُدعَى **الابن** أيضًا بكر الخليقة «فإنَّ كُل الاشياء خُلقت به» (يو١:٣). فكخالق وصانع العالم، هو بداية كُل الأشياء المخلوقة وأصلها.

«وأضجعته في المذود، إذ لم يكن لهما موضعٌ في المنزل»» (لو ٢:٧).

لقد وُجِدَ أنَّ الإنسان قد تدَنَّى إلى مستوى الحيوانات، لذلك فإنَّهُ وُضع مثل علف في المذودِ، لكي حينما نخلع حياتنا الحيوانيَّة، نرتفع إلى درجة العقل والبصيرة التي تليق بطبيعة الإنسان. وبينما كُنَّا متوحّشين في نفوسنا، فإنَّنا الآن باقترابنا منَ المذودِ، أي «مائدته الخاصة» (٢) ، فإنَّا لا نجد عَلَفًا بعد، بل الخبز الذي منَ السماء الذي هو **جسد الحياة**.

---

١) – اصطلاح «التدبير» يستعمله القديس كيرلُّس وكل الآباء ليعبِّروا عن خطّة الله وقصده، لتتميم خلاص الإنسان عن طريق مجيء ابن الله في الجسد واتحاده بطبيعتنا وتتميمه الفداء بالموت والقيامة.

٢) – واضح أنَّ القديس كيرلُّس يتحدّث عن تناول الإفخارستيَّا التي يشترك فيها المؤمنون نتيجة التجسُّد.

« وَكَانَ فِي تِلْكَ الْكُورَةِ رُعَاةٌ مُتَبَدِّينَ يَحْرُسُونَ حِرَاسَاتِ اللَّيْلِ عَلَى رَعِيَّتِهِمْ، وَإِذَا مَلاَكُ الرَّبِّ وَقَفَ بِهِمْ، وَمَجْدُ الرَّبِّ أَضَاءَ حَوْلَهُمْ، فَخَافُوا خَوْفًا عَظِيمًا. فَقَالَ لَهُمُ الْمَلاَكُ:لاَ تَخَافُوا! فَهَا أَنَا أُبَشِّرُكُمْ بِفَرَحٍ عَظِيمٍ يَكُونُ لِجَمِيعِ الشَّعْبِ: أَنَّهُ وُلِدَ لَكُمُ الْيَوْمَ فِي مَدِينَةِ دَاوُدَ مُخَلِّصٌ هُوَ الْمَسِيحُ الرَّبُّ. وَهذِهِ لَكُمُ الْعَلاَمَةُ: تَجِدُونَ طِفْلاً مُقَمَّطًا مُضْجَعًا فِي مِذْوَدٍ.وَظَهَرَ بَغْتَةً مَعَ الْمَلاَكِ جُمْهُورٌ مِنَ الْجُنْدِ السَّمَاوِيِّ مُسَبِّحِينَ اللهَ وَقَائِلِينَ: الْمَجْدُ للهِ فِي الأَعَالِي، وَعَلَى الأَرْضِ السَّلاَمُ، وَبِالنَّاسِ الْمَسَرَّةُ.» (لوقا ٢:٨-١٤).

«هلمَّ فلنبتهج بالرَّبّ، ونُهلِّل لله مخلصنا» (مز٩٤:١) لأنه هو رأس عيدنا، ولذلك فلنخبر بأعماله العظيمة، ونروي طريقة ذلك التدبير الذي خطَّطَهُ تخطيطًا جميلًا، والذي بواسطته خلَّص العالم، ووضع نير ملكوته على كل واحد منا.

إنَّ جماعة **الأنبياء القديسين** قد سبقوا فأخبروا بميلاده بالجسد، وباتخاذه شكلنا في الوقت المعيَّن، الآن قد تحقَّق هذا الرجاء، فإنَّ **قوات السماء** تأتي بالأخبار المفرحة عن ظهوره في هذا العالم للرعاة قبل الجميع في بيت لحم، وبذلك كانوا أوَّل منْ حصل على معرفة السِّرّ. **والرمز** هنا يشير إلى الحقيقة، لأن **المسيح** يعلن نفسه للرعاة الروحيِّين لكي يبشِّروا به الآخرين، كما حدث مِنَ الرعاة أيضًا عندما تعلَّموا سرّه من **الملائكة القديسين**، وأسرعوا ليحملوا الأخبار المفرحة للآخرين، لذلك **فالملائكة** هم أوَّل منْ بشَّر **به**، وأعلنوا **مجده كإله** مولود في الجسد منْ **امرأة** بطريقة عجيبة.

ولكن ربما **يعترض أحد** على هذا، فيقول: «**إنَّ الذي وُلد الآن كان طفلًا وكان ملفوفًا بالأقماط ومضجعًا في مذود، فكيف نقول إنَّه تُسبِّحه القوَّات العلوية كإله؟**».

وردًّا على هذا الاعتراض نقول **بحسم**: أيُّها الإنسان عمِّق السِّرّ فإنَّ **الله** صار في شكل منظور مثل شكلنا. **ربّ الكل في شكل عبد**، ومع ذلك فإن مجد الربوبية غير منفصل عنه. افهم أنَّ الابن الوحيد صار جسدًا، وأنه احتمل أنْ يولد منْ **امرأة** منْ أجلنا، لكي يُبطل اللعنة التي حُكم بها على **المرأة الأولى**.

لذلك فحينما ترى الطفل ملفوفًا بالأقماط لا تُركِّز فكرك على ميلاده في الجسد فقط، بل ارتفع إلى تأمُّل مجده **الإلهي**، ارفع عقلك عاليًا، إصعد إلى السماء، وهكذا سوف تنظره في أعلى تمجيد، وهو صاحب المجد الفائق، سوف تراه:«جالسًا على عرش عالٍ ومرتفع» (إش٦:١)، سوف تسمع **السيرافيم** يمجدونه بتسابيح، ويقولون إنَّ السماء والأرض مملوءتان منْ مجده، نعم بل حتى على الأرض قد حدث هذا، لأن مجد **الله** أضاء على الرُّعاة، وكان هناك جمهور مِنَ **الجنود السماويين** يخبرون بمجد **المسيح**. فهذا ما سبقَ أنْ أخبر به **موسى** منذ القديم «افرحي معه أيتها السموات، وليسجد له كل أبناء الله» (تث ٣٢:٤٣ سبعينية)، لأنَّ أنبياء قديسين كثيرين قد وُلدوا على مرِّ الأزمنة، ولكن لم يُمجَّد أي واحد منهم بأصوات **الملائكة**، لأنهم كانوا بشرًا، وكانوا على نفس القياس مثلنا. كانوا خدام **الله** الحقيقيين وحاملي كلماته، أمَّا **المسيح** فلم يكن هكذا: لأنه **إله وربّ**، وهو **مُرسِل** الأنبياء القديسين. وكما يقول المرنِّم: «لأَنَّ مَن في السحاب يساوي الرَّبّ، ومَن يتشَّبه بالرَّبّ في أبناء الله» (مز٨٩:١)، لأن لقب البُنوَّة قد مُنح لنا كنعمة حلَّت علينا نحن الذين **تحت النير**، ونحن **بطبيعتنا عبيد**، أمَّا **المسيح** فهو الابن الحقيقي، أي أنه **ابن الله الآب بالطبيعة**، حتى حينما صار جسدًا: لأنه استمر على ما كان عليه منذ الأزل، رغم أنه اتخذ ما لم يكن له.

لذلك لا تنظر إلى المُضطجِع في المذود على أنه مجرَّد طفل، بل في فقرنا انظر ذاك الذي هو غني **كإله**. وفي مستوى بَشَريتنا انظر ذاك الذي يفوق سكان السماء، ولذلك فإنه **يُمَجَّد** منَ **الملائكة القديسين**.

وما أرفع هذه الأنشودة التي ترنموا بها: « المجد لله في الأعالي، وعلى الأرض السلام، وبين الناس المشيئة الصالحة» (ترجمة حرفية).

لأنَّ الملائكة ورؤساء الملائكة والعروش والسيادات، والشاروبيم والسيرافيم، وكل القوات العلوية، كُلٌّ في رتبته، هُم في سلام مع **الله**.

لأنهم لا يتعدَّون – بأي حال من الأحوال – مسرَّته الصالحة أبدًا، بل هم ثابتون وراسخون في البِرّ والقداسة. أما نحن **المخلوقات البائسة**، فإذا تركنا رغبتنا الخاصة في تعارُض مع مشيئة الرَّبّ، فقد وضعنا أنفسنا في **موضع الأعداء** بالنسبة له.

ولكن **بالمسيح** قد انقشعت **هذه العداوة!**

«لأنه هو سلامنا» (أف٢: ١٤). فقد أتَّحدنا **به مع الله الآب**، رافعًا من الوسط علَّة العداوة – **أي الخطية** – وهكذا إذ يبرِّرنا بالإيمان، يجعلنا قديسين وبلا لوم، ويُقرِّب إلى نفسه أولئك البعيدين. وفضلًا عن هذا، فقد جَبَل من الشعبين إنسانًا واحدًا جديدًا.

وهكذا، إذ صنع سلامًا، صالح كِلَا الاثنين **مع الآب** في جسد واحد، لأنه قد **سُرَّ الله الآب** أنْ يجمع، في وحدة كاملة جديدة، كل الأشياء في نفسه. وأنْ يربط معًا **السُفليات بالعلويات**، وأنْ يجعل مِنَ الذين في السماء ومنْ هم **على الأرض**، رعيَّة واحدة.

المسيح، إذن، صار لنا سلامًا ومشيئة صالحة، الذي به وله المجد والكرامة والقدرة مع **الله الآب ومع الرُّوح القُدُس** إلى دهر الدهور. آمين.

كان هذا الرجل **(يوحنا المعمدان)** يُعَمِّد في الأردن فخرجت كل أورشليم (مت ٣: ٥) لتتمتَّع ببكورات العُمَّاد ... تعلَّموا يا سكان أورشليم كيف كان يُعَمِّد الخارجين إليه، «المعترفين بخطاياهم» (مت ٣: ٦). لقد كانوا يكشفون له جراحاتهم، ويقدِّم لهم العلاج، فيخلص الذين يؤمنون **من النار الأبدية**. وإنْ أردت فحص هذه النقطة، أي أنَّ **عُماد يوحنا** يخلصهم منَ التهديد بالنار، اسمعوا قوله: «يَا أَوْلاَدَ الأَفَاعِي، مَنْ أَرَاكُمْ أَنْ تَهْرُبُوا مِنَ الْغَضَبِ الآتِي» (مت ٣: ٧).

لا تكن بعد أفعى.

فإن كانَ لكَ **جلد أفعى قديم**، أي **حياتك الماضية**، فاخلعه عنك.

لأنَّ كُل أفعى تزحف في جُحر وتتخلص من جلدها القديم، وبهذا يتجدَّد شباب جسدها. «هكذا ادخل أنت أيضًا من الطريق الكرب الضَيِّق» (مت ٧: ١٣-١٤)، واخلع القديم **بالأصوام**، واترك ذاك الذي **يهلكك**.

اخلع **الإنسان العتيق مع أعماله** (كو٣:٩). وقل مع نشيد الأناشيد: « قَدْ خَلَعْتُ ثَوْبِي، فَكَيْفَ أَلْبَسُهُ؟» (نش٥: ٣).

لكن ربما يكون فيكم مُرَاءٍ أو منْ يُحبُّ إرضاء الناس، ومنْ يتظاهر بالتقوى دون أنْ يكون له إيمان القلب، فيكون له **رياء سيمون الساحر**، فيأتي لا ليتقبَّل النعمة بل ليتجسَّس على ما يُعطى هنا. ليته يتعلم أيضًا منْ **يوحنا** « وَالآنَ قَدْ وُضِعَتِ الْفَأْسُ عَلَى أَصْلِ الشَّجَرِ، فَكُلُّ شَجَرَةٍ لاَ تَصْنَعُ ثَمَرًا جَيِّدًا تُقْطَعُ وَتُلْقَى فِي النَّارِ.» (مت ٣: ١٠).

إنَّ **الديّان** لا يتهاون، اخلع عنك **الرياء!**

إذن ماذا يليق بكم أنْ تفعلوا؟! وما هي ثمار التوبة؟

« مَنْ لَهُ ثَوْبَانِ فَلْيُعْطِ مَنْ لَيْسَ لَهُ، ». (لو٣:١١).

المعلم **(يوحنا)** بهذا مستحقٌ للثناء، إذ مارس بنفسه ما علَّم به. لهذا لم يخجل منْ أنْ ينطق بهذا، إذ ضميره لم يخالف لسانه.

«وَمَنْ لَهُ طَعَامٌ فَلْيَفْعَلْ هكَذَا». (لو٣:١١).

أتريد أنْ تتمتَّع بنعمة **الرُّوح القُدُس**، ومع ذلك تحكم بأنَّ الفقير غير مستحق للطعام المادي؟! أتطلب **الخيرات العظيمة** وأنت لا تجود بالخيرات **البسيطة؟!**

حتى إنْ كنت عشَّارًا أو زانيًا ترجو الخلاص، «إِنَّ الْعَشَّارِينَ وَالزَّوَانِيَ يَسْبِقُونَكُمْ إِلَى مَلَكُوتِ اللهِ.» (مت٢١:٣١). لقد شَهد **بولس** بذلك قائلًا: «لا زناة ولا فاسقون... يرثون ملكوت الله، وهكذا كان أناس منكم. لكن اغتسلتم بل تقدستم» (١كو ٦: ٩-١١). إنه لم يَقُل: «هكذا فيكم أناس» بل «كان أناس منكم». إذ **الخطية** المرتكبة بجهل يُعفَى عنها، أمَّا **عناد الشِّرير فيُدان عنه.**

هل تتضايق لأنَّك لا تملك موهبة التعليم؟

أخبرني إذًا، ماذا تعتقد أنَّهُ الأفضل، موهبة التعليم أم موهبة شفاء الأمراض؟

بالطبع الأفضل هو موهبة شفاء الأمراض.

لكن ألَا تعتقد أنَّ الأفضل منْ موهبة شفاء الأمراض، أنْ يفتح أحدٌ عيون العميان؟

ألَا تعتقد أنَّ أفضل منْ هذا وذاك أنْ يقيم أحدٌ أمواتًا؟

أخبرني، ألَا تعتقد أنه منَ الأفضل أنْ يصنع هذا بواسطة الظلال والمناديل، بدلًا منْ أنْ يصنعه بالكلام؟

ماذا ستقول، أخبرني، أنْ تقيم أمواتًا بالظلال والمناديل، أم أنْ تمتلك موهبة التعليم؟

لا شكَّ أنك ستختار الأمر الأول، أنْ تُقيم أمواتًا بواسطة الظلال والمناديل.

إذًا، لو أنني برهنتُ لك، أنَّ موهبة أُخرى هي أسمى بكثير منْ هذا ... فماذا تقول؟

إنَّ هذه الموهبة منَ الممكن أنْ يمتلكها ليس واحد أو أثنان فقط بل كل البشر.

أعرف أنكم تشعرون بدهشة، وحيرة كبيرة، طالما أنكم مهيّئون لتسمعوا أنه يمكنكم أنْ تمتلكوا موهبة أسمى منْ أنْ تقيموا أمواتًا، وأنْ تفتحوا عيون العميان، وأنْ تصنعوا تلك المعجزات التي كانت تحدث في عصر الرسل، وربما تعتبرون هذا الأمر، غير جدير بالتصديق.

حسنًا، ما هي هذه الموهبة؟ إنها المحبة.

لكن أرجو أنْ تصدقوني، لأنَّ هذا الكلام ليس لي، بل هو للمسيح، الذي يتكلم منْ خلال بولس. ماذا يقول؟ « وَلكِنْ جِدُّوا لِلْمَوَاهِبِ الْحُسْنَى. وَأَيْضًا أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ.» (١ كو١٢: ٣١).

ماذا يعني «أُرِيكُمْ طَرِيقًا أَفْضَلَ»؟

ما يقوله يعني: أنَّ الكورنثيين كانوا آنذاك قد افتخروا بالمواهب، وكل مَن كان عنده الموهبة يتكلم لغات مختلفة، وهي أقل موهبة، وكانت هذه المواهب موضع تباهٍ تجاه الآخرين. فقال لهم: أنا أريكم طريقًا للمواهب، ليس فقط أسمى، بل أسمى بكثير. وأَكْمَلَ: «إِنْ كُنْتُ أَتَكَلَّمُ بِأَلْسِنَةِ النَّاسِ وَالْمَلاَئِكَةِ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَقَدْ صِرْتُ نُحَاسًا يَطِنُّ أَوْ صَنْجًا يَرِنُّ.. وَإِنْ كَانَتْ لِي نُبُوَّةٌ، وَأَعْلَمُ جَمِيعَ الأَسْرَارِ وَكُلَّ عِلْمٍ، وَإِنْ كَانَ لِي كُلُّ الإِيمَانِ حَتَّى أَنْقُلَ الْجِبَالَ وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلَسْتُ شَيْئًا.» (الأولى إلى أهل كورنثوس ١٣: ٢).

أرأيت الموهبة؟ تغيّروا لتنالوا هذه الموهبة. هذه أسمى منْ موهبة أقامة الموتى، وهذه أسمى بكثير منَ المعجزات الأخرى. ومنْ حيث أنَّ الأمر هكذا، لنسمع ماذا يقول المسيح متحدثًا إلى تلاميذه: «بِهذَا يَعْرِفُ الْجَمِيعُ أَنَّكُمْ تَلاَمِيذِي: إِنْ كَانَ لَكُمْ حُبٌّ بَعْضًا لِبَعْضٍ». (يو ١٣: ٣٥). لم يُشِر إلى عمل المعجزات كعلامة التلمذة بل إلى المحبة. وأيضًا يتوجه نحو الآب، قائلًا: « لِيَكُونُوا هُمْ أَيْضًا وَاحِدًا فِينَا، لِيُؤْمِنَ الْعَالَمُ أَنَّكَ أَرْسَلْتَنِي» (يو١٧: ٢١). وقال لتلاميذه: «وَصِيَّةً جَدِيدَةً أَنَا أُعْطِيكُمْ: أَنْ تُحِبُّوا بَعْضُكُمْ بَعْضًا.» (يو١٣: ٣٤). فذاك الذي يحب هو أكثر تقديرًا وأكثر بهاءً منْ أولئك الذين يقيمون أمواتًا. وهذا صواب. لأن تلك الموهبة (إقامة الموتى) ترتبط بالكامل بنعمة الله، لكن موهبة المحبة ترتبط بجدِّيتك أنت. هذا بالحقّ هو ملمح مسيحي، هذه الموهبة تظهر مَن هو تلميذ المسيح المصلوب، الذي ليس له أي شركة مع الأمور الأرضية، وبدون هذه المحبة، فلا الشهادة أيضًا يمكن أن تفيد شيئًا.

لقد نال بولس اثنين أو بالأحرى ثلاثة من الفضائل السَّامية، تلك المتعلقة بإجراء المعجزات، والمعرفة، والحياة. لكن بدون المحبة، قال أنَّ كلّ هذا هو لا شيء. كيف ذلك؟ يقول بولس: «وَإِنْ أَطْعَمْتُ كُلَّ أَمْوَالِي، وَإِنْ سَلَّمْتُ جَسَدِي حَتَّى أَحْتَرِقَ، وَلكِنْ لَيْسَ لِي مَحَبَّةٌ، فَلاَ أَنْتَفِعُ شَيْئًا.» (١كو١٣: ٣). لأنه منَ الممكن، عندما يوزع المرء أمواله، ألَا يكون عنده محبة ...

إذًا لنشتهِ بغيرةٍ هذه الموهبة – موهبة المحبة، لنحب بعضنا بعضًا، وَلَنْ نحتاج لأي شيء لنوال الفضيلة بل كُلّ الأشياء ستصير سهلة بالنسبة لنا وبدون اتعاب، وَسَنُحَقِّق كلّ شيء بسرعة شديدة.

علينا أنْ نحب الجميع، لأنَّ الواحد قد يحب صديقين أو ثلاثة أصدقاء أو أربعة، لكن هذه ليست محبة لله، بل هي **محبة للنفس**، بينما المحبة لله لا تحمل هذا المبدأ، بل الذي يُحبّ يسلك نحو الجميع كما لو كانوا أخوته، وشركاءه في الإيمان. وهو يحبهم لأنهم أخوة حقيقيُّون. ويحب الهراطقة، وعبدة الأوثان، واليهود، لأنهم أخوة بحسب الطبيعة الإنسانية، بل والأشرار والأردياء أيضًا، سيتراءف بهم، وسيبكي ويتألم من أجلهم.

وبهذه الموهبة سنصير على شبه الله، إذا أحببنا الجميع، حتى **أعداءنا** أيضًا، وليس إنْ صنعنا معجزات، لأنَّنا نحب الله حين يصنع معجزات، لكننا نبالغ في محبته عندما يصنع إحسانًا للبشر، وعندما يُظهر غفرانًا للخطايا وتسامحًا عن الشرور. إذًا لو كان هذا الأمر، فيما يختص بالله، يستحق الإعجاب كثيرًا، فبالأكثر جدًّا في حالة البشر،فمن الواضح أنَّ هذه المحبة تجعلنا مستحقين للإعجاب.

إذًا فلنرجُ هذه المحبة بحماس. وهكذا لنْ نمتلك شيئًا أقل منْ **بولس وبطرس**، ومن أولئك الذين أقاموا أمواتًا كثيرين، حتى وإن كُنَّا لا نستطيع أنْ نشفي مريضًا مُصابًا بارتفاع في درجة حرارته.

لكن **بدون المحبة**، حتى وإنْ كُنَّا نصنع معجزات أكثر من **الرسل**، وحتى إنْ كُنَّا نخاطر بحياتنا مرَّاتٍ عديدة منْ أجل الإيمان، فلنْ ننتفع شيئًا.

عجيبًا مُشيرًا

القديس نيقولا فليميروفيتش

«لأَنَّهُ يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ وَنُعْطَى ابْنًا، وَتَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ، وَيُدْعَى اسْمُهُ عَجِيبًا، مُشِيرًا (ملاك المشورة العظمى) إِلَهًا قَدِيرًا، أَبًا أَبَدِيًّا، رَئِيسَ السَّلاَمِ.» (إش٩:٦).

إلى مَنْ مِنَ **البشر المائتين في تاريخ البشرية** تنطبق عليه كُل هذه الألقاب، وكل هذا السلطان، وكل هذا **المجد؟**

ليس هناك شخص واحد.

لهذا يقول **القديس يوحنا الذهبيّ الفم**: «مِنَ المستحيل أنْ نفهم كُلّ هذا بشأن أي إنسان آخر، بل فقط بالإشارة إلى السيِّد **المسيح**».

النبي أشعياء هنا يُعبِّر بكل وضوح عن الطبيعتين (المتحدتين) في شخص **المسيح** مُخلِّص العالم: **الناسوتية واللاهوتية**.

« يُولَدُ لَنَا وَلَدٌ » تُعبِّر عن **طبيعته الإنسانية**.

«نُعْطَى ابْنًا» هذا التعبير يُوَحِّدُ الطبيعتين في شخص واحد، **ابن الله وابن العذراء** في شخص **الرَّبّ** المتجسد.

غير أنَّ بقيَّة الألقاب تُشير إلى الطبيعة الإلهية في **الرَّبّ يسوع**.

«تَكُونُ الرِّيَاسَةُ عَلَى كَتِفِهِ» ، أي أنَّ الرياسة والسلطة تَخُصَّانِهِ. فالرياسة تخصه شخصيًا وليست مُقترضه أو مُستعارة منْ آخر.

«مُشِيرًا قَدِيرًا»، أَلَيْسَ هذا هو **الثالوث الأقدس؟** والملاك أو الرسول أو البشير (الناطق) لهذا المُشير الثالوثي هو **ابن الله، كلمة الله الأزلي**.

«عَجِيبًا مُشِيرًا»، لأنَّ كُلّ ما هو رائع، وكل ما هو مُدهش وعجيب، وكل ما هو جديد مُنِحَ للبشريَّة، هو منه ومِنْ خلاله.

«إِلَهًا قَدِيرًا»، ماذا يمكن أن يقول **آريوس وأتباعه الجُدد** الذين ينكرون ألوهية **الرَّبّ يسوع** في هذا اللقب؟

«رَئِيسَ السَّلاَمِ»، إذ أنه منه السلام الدائم، وبدونه **الحرب الخارجية والداخلية**.

«أَبًا أَبَدِيًّا»، (أبُ الأزمنة المستقبليَّة)، فكما أنه هو **رَبّ** الماضي، هو أيضًا **رَبّ** المستقبل. علاوة على ذلك، هو أبُ الكنيسة وخارج العالم الجديد، ومؤسِّس ملكوت الله.

لقد رأى **إشعيا ابن آموص** هذه الرؤيا الرائعة والحقيقيَّة قبل نحو سبعمائة سنة من إعلانها للعالم بأسره.

أيُّها **الرَّبّ يسوع**، أنت للأنبياء النبوَّة الأعظم مجدًا، وللمؤمنين الكشف الأعظم مجدًا. أفتح أذهاننا حتى يدخل إليها مجد جلالك العجيب، وأفتح قلوبنا حتى يمتلئ بمحبتك الباعثة للحياة. لأن لك المجد والحمد إلى الأبد. آمين.

عندما سلَّمنا ربّنا صيغة الإيمان **بالآب والابن والرُّوح القُدُس**، لم يقرن هذه النعمة **بعدد** فهو لم يَقُلْ: **باسم الأول والثاني والثالث**، ولا أشار إلى **واحد واثنين وثلاثة**. بل منحنا نعمة معرفة الإيمان الذي يقودنا إلى الخلاص، حتى أنَّنا نخلص بالإيمان وبمعرفتنا بأسماء الأقانيم المقدسة، أمَّا **العدد** فقد اخترعه العقل كوسيلة لحصر الكميَّات. أمَّا الذين **يجلبون الدمار على أنفسهم**، فيريدون استخدام طريقة «**العد**» **ضدّ** الإيمان. ومع أنَّ الأشياء لا تتغيَّر إذا حُسبت عدديًّا كلٌّ بعد الآخر في تسلسل عددي، إلَّا أنَّ أولئك الذين يَرَوْنَ استخدام العدد في الكلام عن الطبيعة الإلهية يتجاوزون الإكرام اللائق **بالباراقليط** .... ونحن نعلم عن كل أقنوم على حدةٍ، وإنْ كان يجب علينا استخدام الأعداد، فإنَّنا لا نسمح لأنفسنا، فإنَّنا لا نسمح لأنفسنا بأنْ تحملنا قواعد الحساب إلى **تَعَدُّد الآلهة في الوثنيَّة**. نحن لا نجمع بالإضافة واحد زائد واحد، وبذلك نتدرج من الوحدة إلى الكثرة. كما أنَّنا لا نقول واحد، اثنان، ثلاثة، ولا نقول أولًا، وثانيًا، وثالثًا، بل مكتوب «أَنَا الأَوَّلُ وَأَنَا الآخِرُ» (إش٤٤: ٦). ولم نسمع قط حتى هذا اليوم عن **إله ثانٍ**، بل أنَّنَا نعبد **الإله من الإله**، ونعترف بتمايز الأقانيم، وفي نفس الوقت نتمسك بالوحدانيَّة. ولا **نُبَدِّد اللاهوت** بتجزئته إلى أقسام متعدِّدة، بلْ جوهر واحد غير مجزأ نراه **في الله الآب والله الابن الوحيد**. وَوَحْدَةٌ بلا انقسام **لأنَّ الابن في الآب، والآب في الابن**، وهو ما ينفي وجود اختلاف بينهما، بل يجعلهما **جوهرًا واحدًا**. وبالتمايز هما الاثنان **أقنوم و أقنوم**، وبالاشتراك في الطبيعة الإلهية الواحدة هما واحد. كيف إذًا وهما واحد وواحد ليسا **إلهين**؟

السبب هو أنَّنا نتحدث عن ملك واحد وعن صورته، وهذا لا يعني وجود مَلِكَيْن. فلا السلطة ولا القدرة ولا المجد ينقسم، بل السِّيادة والسُّلطة والحكمة هي واحدة. وفي اللاهوت نفس الوضع لأنَّ المجد الذي نقدمه لله يُقدَّم إلى الواحد وليس إلى **تعدد الآلهة**، لأنَّ إكرام صورة الملك هو إكرام الملك. وفي حالة الملك (الأرضي) والصور فإنَّ الفرق بين الملك والصورة هو **في الطبيعة**، إذ هي تمثِّل الملك، أمَّا في حالة **الآب والابن** فالطبيعة واحدة. وفي الفنون يحاول الفنان أنْ يرسم شبيهًا مُتقنًا، أَمَّا في اللاهوت فالطبيعة الإلهية بسيطة غير مركبة، فإنَّ الوحدة بين **الآب والابن** هي وحدة قائمة على الشركة في **الجوهر الإلهي**، بينما الوحدة بين الملك والصورة هي وحدة في الملامح فقط.

واحدٌ هو **الرُّوح القُدُس** الذي هو واحد مع **الآب** الواحد، والكلّ هو **الثالوث المبارك** المسجود له. وواضح بشكل كافٍ أنَّ **الرُّوح القُدُس** قائم في شركة الجوهر **مع الآب والابن**، لأنَّه لا يُحسب ضمن الخليقة المتعدِّدة، بلْ نتكلم عنه كواحد لا مثيل له في الخليقة. وكما أنَّ **الآب** واحد **والابن** واحد، كذلك **الرُّوح القُدُس** واحد وهذا يجعله بعيدًا تمامًا عن **الطبيعة المخلوقة**، لأنَّ الفكر السليم لا يسمح لنا بأنْ نضع الواحد الذي لا مثيل له والبسيط غير المركب **مع الخليقة المركبة القائمة في كثرة من الأجساد**. أَمَّا **الرُّوح القُدُس** فهو مُتَّحِد مع **الآب والابن** في وحدة لا مثيل لها.

وما ذكرناه سابقًا ليس هو المصدر الوحيد للبراهين على الشركة في **الجوهر**، بل لأنَّ **الرُّوح القُدُس** «هو من الله» (١كو١٢: ١)، ومعنى «من الله» ليس مثل الكلام عن الخليقة التي هي أيضًا من الله، بل المعنى الدقيق المتعارف عليه وهو انه صار مِنَ **الله**، ليس بالولادة مثل **والابن**، وإنما مثل النفخة الصادرة من الفم. ولكن الفم هنا لا يعني مُطلقًا **ذلك العضو من الجسد**، ولا نفخة الفم التي تتبدَّد بمجرد خروجها من الفم، بل هو الفم على المستوى الإلهي الذي منه يصدر **الرُّوح القُدُس** أقنومًا حيًّا متميزًا بطبيعة التقديس الفائقة. وهكذا يمكننا أن ندرك **وحدته مع الآب والابن**، بينما يظل كيانه الإلهي غير المدرك فوق القدرة على التعبير. ويقال عن **الرُّوح القُدُس** أنَّهُ روح **المسيح** لتأكيد علاقته الروحيَّة **بالابن**، كما قيل: «وَلكِنْ إِنْ كَانَ أَحَدٌ لَيْسَ لَهُ رُوحُ الْمَسِيحِ، فَذلِكَ لَيْسَ لَهُ.» (المسيح) (رو٨: ٩). **فالرُّوح** هو وحده الذي يمجِّد **الرَّبّ** حسبما قيل: «هذا يمجدني» (يو١٦: ١٤). ولكن ذلك التمجيد ليس

مثل تمجيد الخليقة، بل يمجده لأنَّهُ «رُوح الحَقّ» (يو١٤: ١٧). الذي يُعلن الحقّ في ذاته بكل وضوح، وكروح الحكمة يُعلن لي عظمة **المسيح** الذي هو «قوَّة الله وحكمة الله» (١كو١: ٢٤). ولأنه البارقليط (المعَزّي) يعلن في ذاته صلاح الباراقليط (**الابن**) الذي أرسله، وفي جلاله يُظهر عظمة (**الآب**) الذي منه انبثق.

ولكي ندرك أنَّ **الرُّوح القُدُس** ليس مثل الخليقة ولا منها، علينا أن نُميز بين المجد الذاتي الذي يشع من ذات **الله** مثل إشعاع نور الشمس، والمجد الذي يُعْطَى بحريَّة لمن يستحقه، وهو مجد يضاف منَ الخارج. والمثَل الواضح هو ما قيل إنَّ «الابن يكرِّم أباه والعبد يكرِّم سيده» (ملاخي ١: ٦). وإكرام العبد هو ما **تقدمه الخليقة**، أمَّا الإكرام الآخر الذي يمكن أن يقال أنه إكرام المتساوين في الكرامة، فهو ما يحقّقه **الرُّوح القُدُس**. وكما قال **ربَّنا**: « أَنَا مَجَّدْتُكَ عَلَى الأَرْضِ. الْعَمَلَ الَّذِي أَعْطَيْتَنِي لأَعْمَلَ قَدْ أَكْمَلْتُهُ.» (يو١٧: ٤)، يقال نفس الكلام عن **الباراقليط** « ذَاكَ يُمَجِّدُنِي، لأَنَّهُ يَأْخُذُ مِمَّا لِي وَيُخْبِرُكُمْ.» (يو١٦: ١٤)، وكما أنَّ **الابن** يُمَجَّد مِنْ قِبَلِ **الآب** كما قال: «مجدتك وسوف أُمجدك أيضًا» (يو١٢: ٢٨). أيضًا يُمَجَّد **الرُّوح** بالشَّركة في **الجوهر** التي له مع **الآب والابن**، وبشهادة **الابن الوحيد** عنه التي يقول فيها: «كُلُّ خَطِيَّةٍ وَتَجْدِيفٍ يُغْفَرُ لِلنَّاسِ، وَأَمَّا التَّجْدِيفُ عَلَى الرُّوحِ فَلَنْ يُغْفَرَ» (مت١٢: ٣١) .

وعندما نستنير بالقوَّة التي فينا، ونُحدِّقُ في جمال صورة الله غير المنظور، ومن الصورة نبلغ إلى الجمال الفائق الذي للأصل، وعندما يكون روح المعرفة حاضرًا بلا انفصال فإنَّما في ذاته، لمن يحب رؤية الحقيقة وقوَّة معاينة الصورة، لا من الخارج بل يقودهم إلى معاينتها في ذاته (**الرُّوح القُدُس**). وكما أنَّهُ:«وَلاَ أَحَدٌ يَعْرِفُ الآبَ إِلاَّ الابْنُ» (متى ١١: ٢٧)، وأيضًا «لا يَستَطيعُ أَحَدٌ أَن يَقول: «يَسوعُ رَبٌّ» إِلاَّ بِإِلهامٍ مِنَ الرُّوحِ القُدُس» (١كو١٢: ٣)، ولم يقل **بواسطة** الرُّوح القُدُس، بل يقول: **بالرُّوح القُدُس**، لأنَّ «اَللهُ رُوحٌ. وَالَّذِينَ يَسْجُدُونَ لَهُ فَبِالرُّوحِ وَالْحَقِّ يَنْبَغِي أَنْ يَسْجُدُوا» (يو٤: ٢٤)، كما هو مكتوب، في نورك نعاين النور أي باستنارة **الرُّوح** «النُّورُ الْحَقِيقِيُّ الَّذِي يُنِيرُ كُلَّ إِنْسَانٍ آتِيًا إِلَى الْعَالَمِ.» (مز٣٥: ٩) ، (يو١: ٩).

وهذا يوصلنا إلى أنَّ **الرُّوح القُدُس** هو الذي يُعلن في ذاته مجد **الابن** الوحيد، وأنه هو الذي يمنح للساجدين الحقيقيين المعرفة الحقيقية **لله**. إذن طريق معرفتنا **بالله** يبدأ **بالرُّوح** الواحد من خلال **الابن** الواحد إلى **الآب** الواحد، ولكن بعكس ذلك يصلنا الصلاح **الإلهي** وقداسة **الله** ومجد الملكوت منَ **الآب بالابن** الوحيد في **الرُّوح القُدُس**. وفي كلا الاتجاهين يظهر الاعتراف بالأقانيم ولا يُنتهك الإيمان الحقّ بالوحدانية، أما أولئك الذين يعتمدون على **فلسفة الأعداد** ويقولون **أولًا وثانيًا وثالثًا** بقصد إظهار اختلاف الأقانيم، فعليهم أنْ يعرفوا أنهم يجلبون **مبدأ تعدُّد الآلهة منْ ضلال الوثنيَّة**، ويحاولون إدخاله في لاهوت المسيحيين النقيّ. وضلال الاعتماد على الأعداد ظاهر، لأنه يؤدي إلى الاعتراف بأكثر منْ إله، ويصبح **ثمة إله أول وثان وثالث**. أما نحن فيكفينا التسليم الذي سلمه إلينا **الرَّبّ**، وكل منْ يمزج بين هذا التسليم **والمعرفة الغريبة** فإنه ليس أقل جُرمًا في تعدي الشريعة **من الوثنيين الضَّالين**.

أنتم ملح الأرض

للقديس هيلاري أسقف بواتييه

«أَنْتُمْ مِلْحُ الأَرْضِ، وَلكِنْ إِنْ فَسَدَ الْمِلْحُ فَبِمَاذَا يُمَلَّحُ؟ لاَ يَصْلُحُ بَعْدُ لِشَيْءٍ، إِلاَّ لأَنْ يُطْرَحَ خَارِجًا وَيُدَاسَ مِنَ النَّاسِ.» (مت٥: ١٣).

إنَّ ملح الأرض يبدو أوَّلًا شيئًا غير خاص. فماذا عَنَى **يسوع** لمَّا سمَّى تلاميذه «**مِلْحُ الأَرْضِ**»؟ يجب أنْ نبحث عن المعنى المُلائم للكلام. فَمَهمَّة التلاميذ وطبيعة الملح عينه تكشفان عن هذا. فعنصر الماء وعنصر النار يجتمعان ويتحدان في الملح. هكذا يُقاوم الملح المُستعمل عند البشر **فساد اللحم** إذا ما رُشَّ عليه. وبالطبع، إنه مُناسب جدًّا لأن يُضيف الإحساس بالنكهة الخفيَّة.

كذلك كان **الرسل** مُبشرين بالأمور السماوية المُدهشة والأبديَّة. إنَّهم كالزارع يَبذرون الخُلود على كُل الأجساد التي نُثرت عليها مواعظهم. فيبلغون الكمال بمعمودية الماء والنار. هكذا سُمي الذين يُمَلَّحون بقوَّة تعليم **الإنجيل**: «**مِلْحُ الأَرْضِ**»، وهم الآن مُصانون حتى النهاية.

يُسمي **الرَّبّ يسوع** المؤمنين «**مِلْحُ الأَرْضِ**»، ويُناشدهم الحفاظ على عظمة القُدرة المُعطاة لهم. أمّا إذا خسروا حاسَّة الذَّوق، فإنهم يعجزون عن أنْ يجعلوا أي طعام لذيذًا مُستساغًا. وإذا فقدوا طعم الملح، فإنهم يعجزون عن أنْ يجعلوا ما هو **مُعرَّض للفساد** صالحًا للأكل. ويُحذِّرهم من أنْ **يدوسهم** عابرو السبيل – إذا طُردوا من مُستودع **الكنيسة** . بأقدام منْ كان مِنَ المتوقع أنْ يُؤدِّي الملح خدمة لهم.

وَلَا تَمْشِ فَوْقَ ٱلْأَرْضِ إِلَّا تَوَاضُعًا
فَكَمْ تَحْتَهَا قَوْمٌ هُمْ مِنْكَ أَرْفَعُ
فَإِنْ كُنْتَ فِي عِزٍّ وَخَيْرٍ وَمَنْعَةٍ
فَكَمْ مَاتَ مِنْ قَوْمٍ هُمُ مِنْكَ أَمْنَعُ

✝ **القديس مرقس الناسك** من معلِّمي الحياة المسيحيَّة النُسكيَّة في القرن الخامس الميلادي. عاش حياة حافلة حتى ناهز المئة عام، امتلأ فيها من النعمة الإلهية وخبرة الحياة، وتعمَّق في دراسة كلمة الله، ووُهِب معرفة زاخرة بأسرار الحياة الروحيَّة. وها نحن في هذا المقال ننشر بعض أقواله التي وردت في كتاب «الفيلوكاليا» وهي مجموعة مقالات آبائيّة قام بترتيبها **القدّيس نيقوديموس الاثوسي** (١٧٤٩-١٨٠٩م) **والقدّيس مكاريوس الكورنثي** (١٧٣١-١٨٠٥م).

هدفها الأساسي أن يُصبح الإنسان عاشقًا لله ويصلّي بلا انقطاع. (١ تس٥:١٧).

تضم كتابات«الفيلوكاليا» كبار القدّيسين أمثال **أنطونيوس الكبير – اسحاق السوري – مكسيموس المعترف – يوحنا الدمشقي – يوحنا السلميّ – سمعان اللاهوتي الحديث – غريغوريوس بالاماس – مرقس الأفسُسِي...**

وقد تُرجم في روسيا (باللغة السلافية)، ثم تُرجم إلى اللغة الإنجليزية عام ١٩٥٤.

نعمة المعمودية وتتميم الوصايا:

✝ الإيمان لا يشتمل فقط على كوننا تعمَّدنا للمسيح، بل وعلى تتميم وصاياه. المعمودية كاملة وتهبنا الكمال، لكنها ما تُكْمِل إنسانًا يخفق في تتميم الوصايا.

✝ الإنسان بإرادته يبقى حيث يكون هواه، حتى ولو كان قد تعمَّد، فإنَّ حريَّة إرادته ليست تحت اضطرار. حينما تقول الأسفار الإلهية إنَّ «مَلَكُوتُ السَّمَاوَاتِ يُغْصَبُ،» (مت١١:١٢)، فإنَّها تتكلَّم عن إرادة إنسان، حتى يستنهض كل واحد منا نفسه، بعد المعمودية، **فلا يلتفت إلى الشَّرّ** بل **يثبُت في الخير**. إنَّ الذين نالوا القوَّة لتتميم الوصايا، يوصيهم **الرَّبّ**، من حيث كونهم مؤمنين، أنْ يعكفوا عليها دومًا حتى **لا ينكصوا إلى الوراء**.

✝ التمرُّن الرُّوحي ليس شيئًا منفصلًا عن **الوصايا**، بل هو الوصايا ذاتها. أرني أعمالًا ليست وصايا. إنْ تحدثت عن الصلاة، فهي وصيَّة؛ أو عن طرد الخيالات، فهذه وصيَّة؛ أو عن الصوم والسَّهر، فهذه أيضًا وصيَّة؛ وإن كانت إماتة الذَّات، فهذه أيضًا وصيَّة؛ وأي فعل فضيلة نُسكيَّة أخرى، فهو وصيَّة.

✝ المعمودية المقدسة تهبنا تحرُّرًا كاملًا. أمَّا أنْ يُكبِّل الإنسان نفسه **بالرباطات الشَّهوانيَّة**، أو أنْ يبقى حُرًّا بفعله الوصايا، فهذا أمرٌ يَكْمُن في حُرِّية إرادتنا. **فإذا تقيَّد الفكر بشدَّةٍ في شهوات خاطئة**، فإنَّ هذا يكون منْ **تعلُّقنا الإرادي**، وليس من شيء حدث ضدًّا لإرادتنا. فبحسب الكتاب المقدس، نحن نملك القدرة على «نبذ الخيالات» (٢كو١٠:٥).

✝ أن نتوشَّح – بعد المعمودية المقدسة – بالقوَّة على تتميم الوصايا، ثم لا نفعل الوصايا، فإننا بذلك **نُسلِّم أنفسنا للخطيَّة ولو بغير إرادتنا**، إلى أنْ نُحرِّك الله بتوبتنا فيرحمنا؛ وإذ نجاهد منْ أجل فعل كُلِّ الوصايا، يُبطل الله **سلطان الخطيَّة** منْ إرادتنا.

✝ «أنت لَبِسْتَ المسيح بالمعمودية» (غل٣:٢٧)، وأخذتَ «القُوَّة والسلاح حتى تكسر الخيالات» (٢كو١٠:٥). والآن وقد مَلَكْتَ القدرة عليها، فإنْ لم **تهدم الخيالات** منذ الخاطر الأول، فواضح أنك **مُحبٌّ للملذَّات** في عدم إيمان، وأنك مُصدِّقٌ عليها ومُصادِق لها. إذنْ، **فأنت مُذنبٌ إزاءَ هذا السلوك**.

نعمة المعمودية والإرادة الحُرَّة:

✝ قد **يهاجمنا** أحيانًا **فكر رديء مكروه**، مُتسلِّلًا **كلص** دون أية موافقة منا، فيتملَّك عقلنا قهرًا. ألاَ فاعلم يقينًا أنه حتى هذا الفكر قد نشأ داخل نفوسنا، لأنَّه إمَّا أنَّنَا قد **استسلمنا لهذا الفكر الشِّرِّير** منذ المعمودية بالرغم منْ عدم إتيانه بالفعل، أو أنَّنا احتفظنا في نفوسنا ببعض **بذور الشَّرّ** التي **مكَّنت الشِّرير منَ السُّكنى فينا**، وإذ تمكَّن **الشِّرير** منَّا بسبب هذه البذار الرديئة فلن يُفارقنا حتى ننبذ العلّة تمامًا.

أمَّا إنْ كان سِرّ **بقاء الفكر الشِّرير فينا** هو إتيانه بالفعل، فلن يُطرَد الفكر إلَّا بتقديمنا لله أعمالًا تليق بالتوبة.

✝ أنت، إذن، **مُدان على الفكر اللاإرادي الذي يزعجك**، لأنك وقد مَلَكْتَ القُدرة على طرده بعيدًا وعلى تنقية عقلك منه منذ الخاطر الأول؛ لم تفعل، **بل تحادثت معه عن طيب خاطر** بالرغم أنك لم تأته بالفعل.

✝ حين تحسّ في قلبك بمعونة آتية إليك، فاعلم يقينًا أنَّ هذه النعمة لم تأتِك من خارج، بل هي النعمة المعطاة لك سِرًّا في المعمودية، وقد صارت الآن نشطة فيك مِنْ حيث أنَّكَ **أبغضتَ الفكر الشِّرير وتحوَّلت عنه.**

✝ كل فكر يتأصَّل في الإنسان الذي يُرحِّب به، يقوده إلى فكر آخر على شاكلته، حتى أنَّ الإنسان وهو يتورَّط – **بالعادة** – للفكر الأول، يجد نفسه **محمولًا** للفكر الثاني ولو **ضِدًّا** لإرادته. **فمَن يمكنه الهروب من الكبرياء إنْ كان ممتلئًا منَ المديح الباطل؟** أوْ مَن ينام ملء جفنيه تاركًا نفسه للَّذة، **ولا ينكسر بالخيالات الشهوانية؟** أوْ مَن يستسلم للشدَّة على الآخرين **ولا يسقط أسير القسوة وعدم الرحمة؟** وكيف لِمَن يتلذَّذون بهذه كلها **أن يتجنَّبوا الحنق والغضب؟**

✝ وحتى بعد نوال النعمة، فإنَّهُ بإرادتنا إمَّا أن نسلك **بحسب الجسد** أو بحسب الرُّوح. ولكن السلوك بحسب الرُّوح **أمرٌ مستحيل لِمَن يهوى المديح البشري، متسامحًا مع شهوات جسده.** وكذلك السلوك بحسب الجسد، فهو أمرٌ مستحيل لِمَن عزم في قلبه أن يختار الحياة الآتية أفضل من الحياة الحاضرة. لذا **فلنبغض المديح البشري والتهاون مع الجسد**، الذي منه تتولَّد فينا **الأفكار الشِّريرة** ولو بغير رغبتنا، ولنقل دائمًا وبإخلاص للسيِّد **الرَّبّ**: «بُغضًا تامًّا أبغضتهم، صاروا لي أعداء.» (مز ١٣٨: ٢٢).

✝ المعمودية تمنح لكل مَن تعمَّد في الكنيسة نعمة تسكن فيهم سِرًّا، ثم أنهم حينما يُمارسون الوصايا متمسِّكين بالرَّجاء في أذهانهم، تُستعلن لهم النعمة نفسها حسب كلمات **الرَّبّ**: «مَنْ آمَنَ بِي، كَمَا قَالَ الْكِتَابُ، تَجْرِي مِنْ بَطْنِهِ أَنْهَارُ مَاءٍ حَيٍّ. قَالَ هذَا عَنِ الرُّوحِ الَّذِي كَانَ الْمُؤْمِنُونَ بِهِ مُزْمِعِينَ أَنْ يَقْبَلُوهُ» (يو ٧: ٣٨و٣٩).

✝ وهكذا، فإن أيّ مؤمن يحيا بحسب الوصايا، ثم يعمل بالتالي فِعْلًا روحيًّا معيَّنًا، فليعتقد أنه سبق ونال قوة لهذا الفعل، لأنه قد نال في المعمودية نعمة **الرُّوح القُدُس** – أصل كل صلاح وكل فضيلة – سواء الباطنيَّة الروحيَّة منها، أو الظاهريَّة. لا يظن أي إنسان فاضل أنه يمكنه إتيان أي فعل صالح بقدراته الخاصة وحدها لأنَّ «الإِنْسَانُ الصَّالِحُ مِنَ الْكَنْزِ الصَّالِحِ فِي الْقَلْبِ يُخْرِجُ الصَّالِحَاتِ» (مت ١٢: ٣٥)؛ ليس من «**ذاته**»، بل من «الكنز» الذي يعني به **الرُّوح القُدُس** المخفي في قلوب المؤمنين.

مقاومة الفكر الشِّرير، أو مصادقته:

✝ الإنسان الذي يثق في نفسه أنَّ له **المسيح** مخفيًّا في قلبه بالمعمودية، يجحد كل أشياء العالم ويخلو إلى قلبه ليحفظه بكل عناية لائقة (أم ٤: ٢٣)، «لأَنَّ اللهَ هُوَ الْعَامِلُ فِيكُمْ أَنْ تُرِيدُوا وَأَنْ تَعْمَلُوا مِنْ أَجْلِ الْمَسَرَّةِ. (الصالحة)» (في٢: ١٣). إنَّ كلمة «الْمَسَرَّةِ الصَّالِحَةِ» يقصد بها **الرسول**: أنَّ بلوغ «الْمَسَرَّةِ الصَّالِحَةِ» بالفضائل يعتمد على حرية إرادتنا. أمَّا ممارستها أو اقتلاع **جذور الخطايا** بدون **الله** فهذا أمرٌ مستحيل، والكلمات التالية تحمل نفس المعنى: «لِأَنَّكُمْ بِدُونِي لَا تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا.» (يو١٥: ٥). ولكن هناك في كل عمل مشاركتنا الخاصة.

يتقبَّل العقل الحاكم لكل إنسان، مِنْ داخل الهيكل السِّرِّي للقلب، المشورات الصالحة المباركة من **المسيح** الساكن فيه، وعندئذ يضع هذه المشورات موضع التنفيذ العملي بالحياة الفاضلة، التي يعود فيُقدِّمها **للمسيح** الذي أعطاه المشورة مِنْ خلال الأفكار الطيِّبة.

✝ معروف أنَّ البركات التي سينالها الأبرار في القيامة، محفوظة لهم هناك في السموات، ولكن عربون هذه البركات وباكوراتها تعمل منذ الآن في قلوب هؤلاء المؤمنين. لذلك فإنَّنا، وإذ لنا هذه الشهادة في قلوبنا عن المستقبل، وَجَبَ أنْ نتخلَّى عن الحاضر لكي نحب **الله حتى الموت**. مِنْ أجل هذا يقول **الرسول**: «قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ» (عب١٢: ٢٢). ولم يَقُل: «إنكم ستأتون»، لأنَّنا سبق وأخذنا هذه الإمكانية في المعمودية، ولكن الذين ينالونها فعلًا هم أصحاب الإيمان الوطيد الذين يموتون كل يوم من أجل **حُبِّ المسيح**، أي أولئك الذين يَسْمَونَ فوق كل فكر متعلِّق بالحياة الحاضرة، بينما لا يُفكِّرون في أي شيء إلَّا كيف يبلغون **حُبِّ المسيح** الكامل.

✝ لمَّا كان **القديس بولس** يسعى نحو هذا الحُبّ فوق كل شيء آخر صرخ قائلًا: «أَسْعَى لَعَلِّي أُدْرِكُ الَّذِي لأَجْلِهِ أَدْرَكَنِي أَيْضًا الْمَسِيحُ يَسُوعُ.» (في٣: ١٢)، أي لعلِّي أحبّ **المسيح**، كما أنا محبوب في **المسيح**. وحينما أدرك **بولس الرسول** هذا الحُبّ لم يَعُد يشتهي أنْ يُفكِّر في أي شيء سواه، لا ضيقات الجسد، ولا مُدهشات الخليقة؛ لكنه هجر كل المنظورات بأسرها وقال: «مَنْ سَيَفْصِلُنَا عَنْ مَحَبَّةِ الْمَسِيحِ؟» (رو٨: ٣٥). وهكذا لم تَعُد له شهوة في التفكير في أيِّ شيء سوى أنْ يستوطن هناك حيث **حُبُّ المسيح** في القلب.

إيحاءات الشيطان وحِفظ العقل طاهرًا:

✝ يقول **الرسول بولس**: «بَلْ نَحْنُ الَّذِينَ لَنَا بَاكُورَةُ الرُّوحِ» (رو ٨: ٢٣)، مُبيِّنًا مقدار طاقتنا، لأنَّهُ لا يمكننا أنْ نحتوي كمال فاعلية **الرُّوح** إلَّا ببلوغنا كمال الوصايا أولًا، تمامًا كما أنَّ الشمس لكونها كاملة، تسكب على الجميع مِنْ بركاتها الكاملة الواحدة المتساوية. لكن كُلّ إنسان ينال مِنْ نورها على قدر كفاءة إبصاره، هكذا **الرُّوح القُدُس** أيضًا قد مَكَّنَ كُلّ مَنْ يؤمن به وَمِنَ المعمودية أنْ ينال فعالياته وعطاياه، إلَّا أنَّ عطاياه لا تعمل في كل الناس بقدرٍ متساوٍ، بل لكل واحد ما يناله كقدر ممارسته للوصايا، أي بدرجة شهادة أعماله الصالحة، وبقياس إيمانه في **المسيح**.

✝ إن مدخل **الشيطان** إلينا عقلي محض بتصوير شيء أو عمل

شِرِّير. إنَّ **نقصان** إيماننا فقط هو الذي يسمح له بإمكانيَّة مُجَرَّدِ الاقتراب منْ أذهاننا، لأنَّنَا وبعد أنْ تسلَّمنا الوصيَّة وطرحنا عنَّا كُلّ همّ ، وحفظنا – فوق كل تحفُّظ – قلوبنا (أم٤: ٢٣)، وسعينا وراء ملكوت السموات الذي داخلنا، ثم ننصرف عن حِفظ القلب وعن السعي وراء الملكوت؛ فإننا نكون قد أعطينا الفرصة في الحال، **لإيحاءات الشيطان** وصرنا في متناول **مشوراته الشِّريرة**. ولكن حتى إلى هذا الحَدِّ لا يكون **للشِّرير سلطان** على إثارة أفكارنا، وإلَّا لما كان يرحمنا أبدًا، وإنما يفرض علينا كل نوع من **الفكر الشِّرير**، ويمنع عنا كل فكر صالح. إنَّ سلطانه مقصورٌ على مُجَرَّد **إيحاء الفكر الكاذب** كبدء للهجوم، ليختبر نزعاتنا الداخلية وإلى أية جهة تميل: **هل إلى مشورته؟** أم تجاه وصايا الله؟ والوجهتان متعارضتان تمامًا.

✝ إذا ما تباطأت **وطأة الفكر الرذيل داخلنا وتمكَّنت هناك**، فإنَّ هذا يرجع لا إلى نزعة جديدة فينا، **بل إلى ما سبق أنْ قبلناه من نزعات**. مثل هذا الفكر يقف محجوزًا كفكر وحيد منعزل، يمنعه امتعاض القلب **من تكاثُر الأفكار وتعدُّد الشهوات**. فكر وحيد مفضوح، مكروه من إنسان يحترس لنفسه، ما تصير له قوة على استمالة الذهن **ليُفرخ أفكارًا أخرى**. هذا يحدث فقط إذا كان في القلب تعاطُف مع الفكر الأول. من أجل هذا، إذا ما رفضنا كل تعاطُف تمامًا، يبقى هذا الفكر، الذي هو مظهر لِمَا استقبلناه **من تصوُّرات سابقة**، يبقى مكشوفًا عديم القدرة على إيذائنا أو التهجُّم على ضمائرنا.

✝ حينما يُدرك العقل عدم جدوى صراعه ضد التصوُّرات التي قَبِلها سابقًا، فيعترف لله **بذنبه القديم**؛ ترتَدُّ التجربة عنه ويستعيد هو قوَّته، فيحرس القلب ويحفظه بأقصى عناية بالصلاة، مجاهدًا للدخول إلى عمق أعماق قلبه حيث السلام، وحيث لا تعود تهب **زوابع إغراءات الأفكار الشريرة** التي تدفع بالجسد والنفس كليهما في **هاوية الشهوة ومزالق النجاسة**، وحيث لا يوجد الطريق الواسع الرحب المزيَّن بكلمات وتصوُّرات الضلال الدنيوي، التي تخدع كل مَن يتبعها ولو كانت تبدو حكيمة؛ لأنَّ مخادع النفس الداخلية الطاهرة، التي هي منزل المسيح، يجب أن تدخل إليها أذهاننا متجرِّدة نافضة عنها كل شيء في هذا العالم، سواء كان مُزَكًّى من العقل أم غير مُزَكًّى، ما عدا هذه الثلاثة التي أشار إليها الرسول: «الإِيمَانُ وَالرَّجَاءُ وَالْمَحَبَّةُ» (١ كو١٣: ١٣). لذلك فالإنسان إذا كان يحبّ الحقّ ويريد أن يحفظ قلبه فعليه إذن، أن يَكُفَّ عن التلذُّذ حتى بالانطباعات التي قَبِلَها سابقًا، بل أن يحفظ قلبه ويتقدم في سبر أغوار أعماقه مقتربًا من الله.

عذراء وعذراء

بقلم القديس إيريناوس أسقف ليون (القرن الثاني الميلادي)

إيقونة العذراء - كارديوتيسا

وحسب هذا التدبير، من أجل خلاص جنس البشر، قالت مريم «لِيَكُنْ لِي كَقَوْلِكَ». وبذلك أطاعت. **أمَّا حواء** فلم تُطِع رغم أنَّها كانت لا تزال **عذراء**. وكان **آدم زوجًا لحواء** رغم كونها **عذراء**، إلَّا أنَّه **بالمعصية** هو أيضًا صار سببًا **للموت لنفسه ولحواء ولكل الجنس البشري**، ولكن **مريم** تعيَّن لها زوجًا حسب اختيار الله وعمله السَّابق، ولكنها ظلت **عذراء**. وعندما التزمت بالطاعة صارت لنفسها **ولكل الجنس البشري** سببًا **للخلاص**. وحسب الناموس، المرأة المخطوبة لرجل تدعى زوجةً له رغم أنها تظلّ عذراء. وهذا بلا شك يشير إلى العلاقة بين **حواء ومريم**. والأشياء مرتبطة ببعضها ولا يمكن فصلها ... **وحواء** لن تحصل على حريتِّها إلَّا إذا قَبِلَتْ الأخيرة (**مريم**) أنْ يأتي منها **المسيح**.

وهكذا صار الأول الأخير، والأخير الأول (مت ١٩: ٣٠). وهو ما شرحه **النبي** بقوله أيضًا «ويكون بنوكِ عوضًا من ابائكِ» (مز ٤٤). وتمَّ هذا عندما وُلِدَ **الرَّبّ** ثم صار البكر منْ بين الأموات. وأخذَ في حضنه الآباء الأولين وولدهم إلى حياة الله نفسه عندما صار بداية الجنس البشري الحيّ، بينما **صار آدم بداية الجنس البشري الميت** (١ كو ١٥: ٢٠-٢٢). هذا جعل **لوقا** يبدأ سلسلة الأنساب من **الرَّبّ** أولًا حتى **آدم**، لكي يؤكد أنَّه وَلَدَ هؤلاء الآباء من جديد، وليس هم الذين ولدوه إلى الحياة حسب الإنجيل. وكذلك **لعنة حواء ومعصيتها، رفعتها مريم بطاعتها**، لأن **حواء العذراء الأولى** رُبِطَت **بعدم إيمانها**، وكذلك **مريم العذراء** حلَّت **رباط حواء بطاعتها**.

جاءَ **الرَّبّ** إلى خاصته ورفع المعصية التي جاءت عن طريق الشجرة (شجرة المعرفة) بطاعته التي أظهرها على الشجرة (**الصليب**). كذلك **الغواية** انتهت، لأنَّ **حواء** التي أُختِيرَ لها زوجًا قد **أُغْوِيَت بالشَّر**، ولكن في البشارة المُفرحة نجد **العذراء مريم** وهي مرتبطة بزوج قد سمعت البشارة من **الملاك**. ومن هذا يظهر أنَّه كما أنَّ **حواء أُغْوِيَت بكملة ملاك ساقط** وهربت من الله بعد أن نفَّذت كلمته، هكذا **مريم** بكلمة **الملاك** نالت البشارة المفرحة لكي تلد الله وتطيع كلمته. **الأولى عصيت**، لكن الثانية أطاعت الله، لكي تصبح **العذراء المحامية** عن **العذراء حواء**. وكما أنَّ **الجنس البشري** قد **رُبِطَ بالموت بعذراء**، فإنَّه **خَلُصَ بعذراء**. وبذلك تَمَّ تعادل **معصية العذراء** (**حواء**) **بطاعة العذراء**، **ومكر الحية** غُلِبَ **ببساطة الحمامة**.

مِنَ الممكن أنْ نفرح، لكن كيف يمكن أنْ نفرح كل حين في **الرَّبّ؟** دائمًا؟

يكتب **بولس الرسول** في رسالة فيليبي: «افْرَحُوا فِي الرَّبِّ كُلَّ حِينٍ، وَأَقُولُ أَيْضًا: افْرَحُوا. لِيَكُنْ حِلْمُكُمْ مَعْرُوفًا عِنْدَ جَمِيعِ النَّاسِ.» (في ٤: ٤-٥)، ثم يُكَمِّل:«لاَ تَهْتَمُّوا بِشَيْءٍ، بَلْ فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ. وَسَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (في٤: ٦-٧).

يخبرنا **القديس بولس** في هذه الآيات أنه مِنَ الممكن أنْ نفرح في **الرَّبّ** كل حين، لو آخترنا طريقًا آخر بدلًا **من القلق والاهتمام** بشأن أي شيء، وهذا الاختيار هو: «فِي كُلِّ شَيْءٍ بِالصَّلاَةِ وَالدُّعَاءِ مَعَ الشُّكْرِ، لِتُعْلَمْ طِلْبَاتُكُمْ لَدَى اللهِ.».

والنتيجة عندما نفعل ذلك: «سَلاَمُ اللهِ الَّذِي يَفُوقُ كُلَّ عَقْلٍ، يَحْفَظُ قُلُوبَكُمْ وَأَفْكَارَكُمْ فِي الْمَسِيحِ يَسُوعَ.» (في٤: ٧).

فالفرح إذن هو آختيار.

لكن هل حقًا هو آختيار؟

هل من الممكن أنْ نستيقظ في الصباح ونأمر أنفسنا: «**أنا آمر نفسي بأن تكون مبتهجة اليوم**»؟

إنْ فعلت ذلك، مِنَ المحتمل أنْ تشعر بأنَّك أكثر حُزنًا منْ أي وقت مضى.

مثل الشخص الذي كتب:« يوم ما جلست أُفكر، حزين ووحيد، بدون صديق، سمعت صوتًا جاء لي منْ خارج الكآبة قائلًا:إبتهج ! فمن الممكن أنْ تزداد الأمور سوءًا، لذا ابتهجت، وكما هو متوقع، إزدادت الأمور سوءًا ».

لا تستطيع أنْ تأمر نفسك بأنْ تكون فرحان، لكنك تستطيع أنْ تختار أين توجِّه تركيزك. يمكنك أنْ تختار التركيز **على الأمور السَّيئة** في حياتك، إنْ فعلت ذلك ستكون **مُحبطًا وكئيبًا**. لكن إنِ آخترت أنْ تركز على **الرَّبّ**، ستبتهج بنوع إلهي مِنَ الفرح، بغض النظر عَمَّا هو سيء في حياتك.

لذا فأنت لا تستطيع النهوض مِنَ النوم في الصباح وتأمر نفسك : « **أعتقد أنَّني سأختار أنْ أكون فَرِحًا اليوم**». لكنك تستطيع أنْ تقول: «أختار التركيز اليوم على **الرَّبّ**، على مقدار عظمته، على مدى محبته لي، على الأشياء الرائعة التي فعلها منْ أجلي».

وعندما تختار بشكل متعمَّد التركيز على **الرَّبّ**، ستجد أنَّكَ على الدوام عندك أسباب رائعة لتكون فرحان.

على سبيل المثال، إشتكت أحدى السيِّدات المُسنة لكاهنها يوم ما بكونها **مكتئبة على الدوام**، وسألته ماذا ينبغي عليها أنْ تفعل.

قال لها الكاهن: أنْ تأخذ قطعة ورق وتبدأ بتسجيل قائمة بالنعم والبركات التي حصلت عليها في الحياة. ثم طلب منها أنْ تأخذ هذه القائمة ثلاث أو أربع مرات في اليوم وتشكر **الرَّبّ** على تلك البركات، بينما هي تقرأها واحدة تلو الأخرى. وطلب منها أيضًا الاستمرار في إضافة أي بركات أخرى تتوارد لذهنها للقائمة. وقد فعلت هذه السيدة ذلك، وفي وقت قصير أتسعت القائمة لتشمل ثلاث صفحات. إقتراح الكاهن كان آقتراحًا ممتازًا، وفي وقت قصير آستبدلت **كآبتها بالفرح**، إذ أنها آستمرت في التركيز على بركات الله والشكر المتواصل.

وبالتالي حياة الفرح هي فعلًا مسألة آختيار – إختيار التركيز على **الرَّبّ** وليس على ظروفنا.

هذه أيضًا هي **نصيحة القديس مرقس الناسك** الذي كتب: « يا ابني، هذه هي الكيفيَّة التي ينبغي أنْ تبدأ بها حياتك بحسب الله. يجب أن تتذكَّر بشكلٍ متواصل ومستمر كُلّ البركات التي أنعم بها الله عليك في محبته في الماضي، والتي لا يزال ينعم بها عليك لخلاص نفسك».

قال معلم يهودي ذات مرة: «يجب أنْ يحمل أي إنسان حجرين في جيبه، على واحد منهما ينقش: «**أنا تراب ورماد**»، وعلى الآخر ينقش هذه الكلمات: «**العالم قد خُلق من أجلي**». نحن المسيحيين نستطيع أن نضيف على الحجر الثاني: «**والله بذل ابنه الوحيد من أجلي**». المعلم اليهودي أكمل قائلًا: «أستخدم كل حجر مِنْ هاذين الحجرين حسب الحاجة». عندما تُجرب بالكبرياء، يجب علينا أنْ نركِّز على الحجر الأول: «**أنا تراب ورماد**»، وعندما تجرب بقلة الفرح أو **اليأس** يجب علينا أن نركز على الحجر الثاني: «**العالم قد خُلق من أجلي، والله بذل ابنه الوحيد من أجلي**».

الفرح إذًا هو آختيار، آختيار بؤرة التركيز الصحيحة.

«مَتَى صَلَّيْتُمْ فَقُولُوا: أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ» (لوقا ١١: ٢).

يقول **داود النبيّ** «مَن يُعْطِينِي جَنَاحَيْنِ كَالْحَمَامَةِ» (مز٥٤: ٦)، وأنا أيضًا أقول ذلك بِجَرَاءةٍ مُستخدمًا نفس الكلمات: مَنْ يعطيني تلك الأجنحة حتى يطير عقلي مُحلِّقًا في أعالي تلك الكلمات السَّامية؟

حينئذٍ سأترُك ورائي الأرض بِرُمَّتِهَا وأجتاز الهواء مُتطلِّعًا للوصول إلى عنان السماء، وأبلغ إلى النجوم وأعاين ترتيبها ونظامها. ولكنَّني حتى هناك لنْ أتوقف بل أعبر إلى ما وراءها وأصير غريبًا عن كل ما يتحرك ويتغيَّر، وأدرك الطبيعة الثابتة والقوَّة غير القابلة للتحرُّك الكائنة بذاتها، والتي تقود وتحفظ وجود كل الأشياء، لأنّ كل الأشياء تعتمد على إرادة الحكمة **الإلهية** التي لا توصف. فيجب أنْ يصير عقلي أوَّلًا بمعزل عن أي شيء قابل للتحوُّل والتغيير، ويستقر بهدوء في راحةٍ روحيَّةٍ خاليةٍ من الحركة، وذلك حتى يصير قريبًا منْ ذاك الذي هو غير قابل للتغيير بالكليَّة، وحينئذٍ يمكنه أنْ يخاطبه بهذا الاسم الأكثر أُلفةً: « **يا أبانا** ».

أيّ روح يجب أنْ تكون للإنسان ليقول هذه الكلمة؟!

أيّة ثقةٍ، وأية نقاوةٍ للضمير؟!

فلنفرض أنَّ الإنسان يحاول أنْ يفهم **الله** بقدرِ المستطاع مِنَ الأسماء التي يُدعَى بها، وينقاد بذلك إلى فهم المجد الذي لا يوصف، فهو سيتعلّم أنَّ الطبيعة الإلهية مهما كانت فهي في ذاتها خيرٌ مطلق وقداسة وفرح وقوَّة ومجد وطهارة أبديَّة، بشكل قاطع دائمًا لا تتغيَّر. هذه الصفات وأي صفاتٍ أخرى يمكن أنْ تخطر على البال، ويمكن للإنسان أنْ يعرف منها عن الطبيعة الإلهية – سواء من الأسفار المقدسة أو منْ تأملاته – هل يمكنها أنْ تجعله يتجاسر على أنْ ينطق داعيًا هذا الكائن الأعظم **أباه**؟

إنْ كان له أيّ إحساس فلنْ يَجرؤ على أنْ يدعو **الله** أبًا طالما أنه لا يرى في ذاته نفس الأمور التي يراها في الله. لأنه يستحيل مِنَ الناحية الطبيعيَّة أنَّ الصالح في **جوهره** يكون أبًا **لمشيئةٍ شريرة**، والقدوس أنْ يكون أبًا **لذي الحياة النَجِسَة**. ولا يمكن لمن لا يتغيَّر أنْ يكون أبًا لمن يتقلّب منْ جانبٍ إلى آخر، ولا لأبي (مُنشأ) الحياة أنْ يكون له ابنٌ **خاضع للموت بسبب الخطية**. إنَّ الكلّي الطهارة لا يمكن أنْ يكون أبًا للذين أخزوا أنفسهم **بأهواء غير لائقة**، ولا للذي يسكب النافعات أنْ يكون أبًا لمن يطلب ما لذاته. وباختصار، فإنَّ ذاك الذي هو الصلاح النقيّ لا يمكن أنْ يكون أبًا للمنهمكين بكليتهم **في الشَّر**. فإذا كان الإنسان عندما يمتحن نفسه يجد أنه لا زال يحتاج إلى أنْ يتطهَّر لأنَّ ضميره **ممتلئ بوصمات شرّيرة**، فهو لا يستطيع أن يُقحِم نفسه في عائلة **الله** حتى يتنقّى منْ **جميع الشُّرور**. الإنسان **الظالم والنجس** لا يستطيع أنْ يقول «يا أبانا» لمن هو بارٌ وطاهرٌ، حيث إنَّ ذلك يعني أنه يدعو **الله** أبًا **لشرّه**، وهذا ليس إلَّا **كبرياء وتهكُّم**. لأنَّ كلمة «أب» تشير إلى السبب أو العلّة لما هو موجود بواسطته.

فإذا كان الإنسان الذي يلومه ضميره على **الشَّر** يدعو **الله** أباه، فهو يؤكِّد بأنّ **الله** هو بالضَّبط سبب وأصل شروره. إلَّا أنَّ « أَيَّةُ شَرِكَةٍ لِلنُّورِ مَعَ الظُّلْمَةِ؟» (٢ كو٦: ١٤)، كما يقول **الرسول**؟ ولكن النُّور يقترن بالنُّور، والبِرّ بما هو بار، والجمال بما هو جميل، وعدم الفساد بما هو غير فاسد. «لاَ تَقْدِرُ شَجَرَةٌ جَيِّدَةٌ أَنْ تَصْنَعَ أَثْمَارًا رَدِيَّةً» (مت٧: ١٨)، فإذا كان واحدًا قد «تثقّل قلبه ويبتغي الكذب» (مز٤: ٢)، كما يقول الكتاب، ومع ذلك فهو يتجاسر على استعمال كلمات الصلاة، فليعلم أنه لا يدعو الآب السَّماوي أباه، بل إنه يدعو **الجهنمي** (أي **الشيطان**)، الذي هو نفسه **كذَّاب وأبو كُلّ كذب**، والذي هو **خطيَّة وأبو الخطيَّة** «أَنْتُمْ مِنْ أَبٍ هُوَ إِبْلِيسُ، وَشَهَوَاتِ أَبِيكُمْ تُرِيدُونَ أَنْ تَعْمَلُوا. ذَاكَ كَانَ قَتَّالاً لِلنَّاسِ مِنَ الْبَدْءِ، وَلَمْ يَثْبُتْ فِي الْحَقِّ لأَنَّهُ لَيْسَ فِيهِ حَقّ. مَتَى تَكَلَّمَ بِالْكَذِبِ فَإِنَّمَا يَتَكَلَّمُ مِمَّا لَهُ، لأَنَّهُ كَذَّابٌ وَأَبُو الْكَذَّابِ.» (أُنظر يو٨: ٤٤). ولذلك فإنّ **الرسول** يُسمِّي الخاضعين **للأهواء**: «أبناء الغضب» (أف٢: ٣)، **والرَّبّ** يُسمي الذي خسر الحياة الحقيقية «ابن الهلاك» (يو١٧: ١٢)، ويوصَف الكسول والمخنَّث بأنه

«ابن الجواري» (أُنظر يهوديت١٦: ١٢). هكذا وبنفس الطريقة، فإنّ ذوي الضمير النقيّ يُدعون، على العكس، «أبناء نور وأبناء نهار» (١ تس٥: ٥؛ أف٥: ٨)، والذين يتوقون إلى القوّة الإلهيَّة يُدعون «أبناء القوّة».

فإذا كان **الرَّبّ** يعلِّمنا في صلاته أنْ ندعو **الله** أبًا، فيبدو لي أنَّهُ لا يفعل سوى أنَّهُ يضع أمامنا أسمى نوع مِنَ الحياة كناموس لنا. لأنَّ «الحقَّ» لا يعلِّمنا **أنْ نكذب** ونصف أنفسنا بما ليس هو حالنا، وأنْ نستعمل اسمًا ليس لنا حقٌّ فيه. ولكننا إذا دعونا ذاك الذي هو غير فاسد **وبار وصالح** أبًا لنا فعلينا أن نُثبت بحياتنا أنَّ هذه القرابة حقيقيَّة.

أَتُرى كم نحتاج إلى استعداد، وأي نوع من الحياة علينا أنْ نعيش؟

وأيَّة حرارةٍ يجب أنْ تكون عليها غيرتنا، حتى تُحقِّق ضمائرنا نقاوةً تعطينا شجاعةً لنقول لله «يا أبانا»؟

لأنَّكَ إذا قدّمت مثل هذه الصلاة بشفتيك وأنت **مولعٌ بحب المال ومشغول بخداعات العالم، وأنت تجري وراء الشهرة بين الناس، أو مستعبَدٌ للشهوات الجسديَّة**، فماذا تظن فيما سيقوله **الله** الذي يرى حياتك ويعلم حقيقة صلاتك؟ يبدو لي أنَّ **الله** سيقول لمثل هذا الإنسان شيئًا مثل هذا:

أنت ذو الحياة الفاسدة تدعو ينبوع عدم الفساد أبًا لك؟
لماذا تنجِّس الاسم الطاهر بنطقك الدَّنِسِ؟
لماذا تنافق بهذه الكلمة وتشتم الطبيعة غير الدنسة؟
لو كنتَ ابني لكانت حياتك تتسم بصفاتي الصالحة.
إنني لا أتعرّف على صورة طبيعتي فيك.
إنَّ صفاتك هي على العكس تمامًا منّي.
«أيّة شركةٍ للنور مع الظلمة»؟
أيّة صلةٍ بين الموت والحياة؟
كيف يمكن أن توجد أُلفة بين الطهارة والنجاسة؟
إنَّ مُعطي الصالحات لَهو أبعد ما يكون عن الإنسان الطماع،
ولا يمكن أن توجد علاقة بين مَنْ هو رحيم ومَنْ هو قاسٍ.
الشرور التي فيك لها أبٌ آخر، لأنَّ ذُرِّيتي يجعلها صلاح أبيها جميلة ورائعة.
ابن السيِّد الرحيم والطاهر يكون هو نفسه رحيمًا وطاهرًا،
والفاسد لا علاقة له بغير الفاسد.
وباختصار فإنّ الصلاح يأتي من الصلاح، والبِرَّ من البِرِّ؛
أمَّا بخصوصك فلا أعلم مِنْ أين أنت.

بناء على ذلك، مِنَ الخطر أنْ يتجاسر الإنسان ويستعمل هذه الصلاة ويدعو الله أبًا له قبل أن تتطهَّر حياته.

ولكن دعنا نصغي مرةً أخرى إلى كلمات الصلاة، فربما بكثرة تكرارها نُعطَى أنْ نفهم بعضًا مِنْ معانيها المستترة: «**أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**». واضح مما قلناه أنَّ الإنسان ينبغي أنْ يكتسب رِضَى الله بحياته الفاضلة، ولكن يبدو لي أنَّ كلمات الصلاة تُشير إلى معنى أعمق، لأنها تذكّرنا بوطننا الأصلي الذي سقطنا منه، وحقِّ بُنُوَّتنا النبيل الذي فقدناه. ففي قصة الشاب (الابن الضال) الذي ترك بيت أبيه وذهب بعيدًا ليعيش **بطريقة الخنزير**، نجد أنَّ **الكلمة الإلهي** يُظهِر **بؤس الإنسان** في مَثَلٍ يحكي لنا عن رحيله **وحياته الخليعة**، وأنه لا يُعيده إلى حياته السعيدة السَّابقة قبل أنْ يصير على درايةٍ واعيةٍ بسوء حالته الحاضرة، ويرجع إلى داخل نفسه مُردِّدًا **كلمات التوبة**.

نجد أنَّ **كلمات التوبة** هذه تتفق مع كلمات الصلاة الربانية، لأنَّهُ قال: «يَا أَبِي، أَخْطَأْتُ إِلَى السَّمَاءِ وَقُدَّامَكَ.» (لو١٥: ٢١). إنَّهُ ما كان ليضيف إلى اعترافه أنَّهُ أخطأ إلى السماء لو لم يكن قد اقتنع أنَّ الوطن الذي تركه عندما أخطأ كان هو السماء. ولذلك فقد منحه هذا الاعتراف عبورًا سهلًا إلى **الأب** الذي أسرع نحوه واحتضنه وَقَبَّلَهُ. وهذا يعني نير **كلمة الله** التي وُضِعت على عاتق الإنسان بواسطة الفم، أي بواسطة تقليد الإنجيل، بعد أنْ طرح عنه نير الوصية السابق بتحريره من **الناموس القديم**. وقد أَلْبَسَهُ حُلَّةً، ليست أخرى، بل الحلّة الأولى التي حُرِم منها بعصيانه، بعد أنْ ذاقَ مِنَ الثمرة المحرَّمة ورأى عُرْيَهُ الذَّاتي. كما «جَعَلَ خَاتَمًا فِي يَدِهِ» (لو١٥: ٢٢)، لأنَّ النقش على الخاتم يعني استعادة صورة الله فيه مرةً أخرى. ولكنه أيضًا أَلْبَسَهُ «حِذَاءً فِي رِجْلَيْهِ» وذلك إذا اقترب منْ **رأس الحيّة** فلا تلدغه في كعبِه العاري.

وعلى ذلك فرجوع الشاب إلى بيت أبيه صار له فرصة لاختبار عطف أبيه ومحبته، لأنَّ هذا البيت الأبوي هو السماء التي أخطأ إليها كما قال لأبيه. وبنفس الطريقة يبدو لي أنَّهُ إذا كان **الرَّبّ** يعلّمنا أنْ ندعو **الآب** الذي في السماء فهو يقصد أنْ يذكِّرنا بوطننا الأصلي الجميل، وهو بذلك إذْ يضع في أذهاننا رغبةً أقوى لتلك الصالحات فهو يضعنا على الطريق الذي يقودنا، عائدًا بنا إلى وطننا الأصلي.

إنَّ الطريق الذي يعود بالطبيعة البشرية إلى السماء، ليس سوى تجنُّب **شرور العالم بالهروب منها**. ومِنَ الناحية الأخرى، فإنَّ الغرض مِنَ الهرب مِنَ الشرور يبدو لي أنه هو تمامًا تحقيق مُشابَهَة الله فينا. أنْ نصير مثل الله يعني أنْ نصير **أبرارًا وقديسين وصالحين** وما شابه ذلك. فإذا تجلَّت في إنسان سمات هذه الفضائل سوف يعبر آليًّا وبدون جهدٍ مِنْ هذه **الحياة الأرضية** إلى **حياة السماء**، لأنَّ البُعد بين الحياتين **الإلهية والبشرية** ليس بُعدًا مكانيًا، حتى إنَّهُ يحتاج إلى آلة ميكانيكية ينتقل بها هذا الجسد الأرضي الثقيل إلى الحياة المعقولة المجرّدة مِنَ الجسد. فإذا كانت الفضيلة منفصلة حقًّا عن **الشَّر** فهي توجد في مجال **حريَّة اختيار الإنسان بحيث يكون حسب رغبته**. وطالما أنَّ اختيار الصلاح لا يتبعه أي جهدٍ – لأنّ امتلاك الأمور التي يختارها الإنسان يتبع فعل الاختيار – فإنَّ الإنسان يُخوَّل له أن يكون في السماء في الحال، لأنه يكون قد أمسك بالله بقلبه.

وإذا كان «الله في السماء» حسب الكتاب (مز١١٤: ١١)، وأنت كما يقول النبي: «تقترب إلى الله» (مز٧٢: ٢٨)، فيتبع ذلك أنَّك لا بُدَّ أنْ تكون حيث يوجد الله لأنَّكَ تكون متَّحِدًا به. وطالما أنَّهُ أوصى أنْ تدعو الله في الصلاة أبًا، فهو يُخبرك ألَّا تفعل أقل مِنْ أنْ تصير مثل

أبيك السماوي بحياةٍ جديدةٍ **بالله**، مثلما يأمرنا بوضوح أكثر قائلًا: «فَكُونُوا أَنْتُمْ كَامِلِينَ كَمَا أَنَّ أَبَاكُمُ الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ هُوَ كَامِلٌ.» (مت٥: ٤٨).

فإن كُنَّا قد فهمنا الآن معنى هذه الصلاة، يكون الوقت قد حان لِنَعِدَّ نفوسنا لكي ننطق بدالة الثقة بتلك الكلمات: «**أَبَانَا الَّذِي فِي السَّمَاوَاتِ**». لأنه كما توجد صفات واضحة لمن يكون بشبه الله، تلك التي بها يصير الإنسان ابنًا لله. ﴿لأنه يقول: « وَأَمَّا كُلُّ الَّذِينَ قَبِلُوهُ فَأَعْطَاهُمْ سُلْطَانًا أَنْ يَصِيرُوا أَوْلاَدَ اللهِ» (يو١: ١٢)، فالذي يقبل الصلاح الكامل يقبل الله﴾. هكذا أيضًا توجد علامات أكيدة تخصُّ **الشخصيَّة الشِّريرة** التي لا يمكن أنْ يكون حاملها ابنًا لله، لأنه **موسوم بصورة الطبيعة المضادّة**.

أَتريد أنْ تعرف **صفات الشخصيَّة الشِّرِّيرة**؟ إنَّها **الحسد والحقد والافتراء والخداع والجشع والشَّهوة والطموح الجنوني**. بهذه وما شابهها يمكن التعرُّف على **شخصيَّة العدوّ**، فالإنسان – **المُشَبَّعة نفسه بمثل هذه الوصمات** – إذا دعا أباه، فأي نوع من الآباء يسمعه؟ واضح أنه لا بُدَّ أنْ يكون شبيهًا بمن يدعوه، وهذا طبعًا لنْ يكون هو الآب السماوي، بل **الجُهنَّميّ**، لأنّ الذي يحمل ملامح أسرته يتعرّف بالتأكيد على شبيهه. وعلى ذلك، فطالما أنَّ **الإنسان الشِّرير** يداوم على **سَيِّئاته**، فصلاته تكون مجرد **استدعاء للشيطان**، ولكنه عندما يتخلَّى عن سيئاته ويعيش حياة صالحة فإنَّ صلاته تكون دُعاءً **للآب** الصالح. لذلك، فقبل أنْ نقترب مِنَ الله يجب أنْ نمتحن أنفسنا إنْ كان لنا في أنفسنا شيء جدير بقرابتنا لله، وهكذا تكون لنا دالَّة أنْ نستعمل كلمة «أبانا».

ذاك الذي أوصانا أنْ نقول: «أبانا» لم يسمح لنا أنْ **نتطق بالكذب**. فالذي يعيش بطريقةٍ جديرةٍ بالسمُوّ **الإلهيّ** له الحقّ في أنْ يتطلّع إلى المدينة السماوية، داعيًا ملك السماء أبًا له والسعادة السماويَّة وطنه الأُمّ، لأنَّهُ ما هو الغرض مِنْ هذه المشورة؟ هو أنْ يفكِّر الإنسان في الأمور الفوقانية حيث يوجد الله. هناك ينبغي أنْ توضع أساسات البيت، هناك تُكنَز الكنوز، والقلب يثبت، «لأَنَّهُ حَيْثُ يَكُونُ كَنْزُكَ هُنَاكَ يَكُونُ قَلْبُكَ أَيْضًا.» (مت٦: ٢١). فعلينا أنْ نداوم على النظر إلى جمال **الآب** ونُشكِّل جمال نفوسنا على جماله.

«لأَنْ لَيْسَ عِنْدَ اللهِ مُحَابَاةٌ.» (رو٢: ١١)، كما يقول الكتاب. فليكن جمالك أيضًا خاليًا مِنْ هذا اللَّوم، فاللاهوت نقيّ **من الحسد ومن كل وصمة هوى**، وعلى ذلك فلا تَدع مثل تلك الأهواء تُدنّسك، **لا حسد ولا أمور باطلة** ولا أيٌّ مِنْ هذه الأمور التي **تُلوِّث** الجمال **الإلهي**. فإذا كنتَ هكذا فيمكنك أنْ تخاطب الله بدالَّةٍ باسمٍ حميم وتدعو رَبّ الكل أبًا لك. إنه سينظر إليك بعيني أبٍ، إنه سيُلبِسك الرداء **الإلهي**، ويزينك بخاتم، إنه سيجعل في رجليك حذاء الإنجيل لأجل الرحلة الصاعدة، وسوف يعيدك لوطنك السماوي، في **المسيح يسوع** ربنا الذي له المجد والقوَّة إلى أبد الآبدين. آمين.

ضد الهرطقات للقديس إيرينيئوس أسقف ليون (القرن الثاني)

الكنيسة رغم انتشارها في العالم كلّه حتى إلى أقاصي الأرض، قد تسلَّمت من **الرُّسل** وتلاميذهم هذا الإيمان:

فهي تؤمن بإله واحد، الآب ضابط الكل، خالق السماء والأرض والبحر، وكل ما فيها من كائنات،

وبربٍّ واحد المسيح يسوع ابن الله الذي تجسد لأجل خلاصنا،

وبالرُّوح القُدُس، الذي كرز بواسطة الأنبياء، عن تدبيرات الله، وعن مجيء (الابن) وميلاده من عذراء، وعن الآلام، والقيامة من الأموات، وعن الصعود إلى السماء بجسد المحبوب المسيح يسوع ربنا، وظهوره الآتي من السموات في مجد الآب، ليجمع كل شيء في واحد، وليقيم من جديد كل جسد الجنس البشري، لكي تجثو كل ركبة مِمَّا في السماء وعلى الأرض، وتحت الأرض لربنا وإلهنا ومخلصنا وملكنا يسوع المسيح، بحسب مشيئة الآب غير المنظور، ويعترف له كل لسان، وأنه سَيُجْرِي دينونة عادلة للكل، وأنه سيرسل أجناد الشَّر الروحيَّة والملائكة الذين تعدَّوا وارتَدُّوا (عن الله) مع الكفار والظالمين والأشرار والنجسين مِنَ الناس إلى النار الأبديَّة، ولكنه بفضل نعمته يمنح الخلود للأبرار والقديسين، والذين هم حفظوا وصاياه وثبتوا في محبته، بعضهم منذ بداية حياتهم وآخرون من وقت توبتهم، ويمتّعهم بمجدٍ أَبَدِيٍّ.

فإنَّ الكنيسة إذ قد تسلَّمت هذه الكرازة ، وهذا الإيمان، رغم أنها مبعثرة في العالم كله، إلَّا أنها تحفظ هذا الإيمان، كما لو كانت تسكن بيتًا واحدًا. كما أنها تعتقد بهذه النقاط في التعليم، كما لو كانت نفسًا واحدة، ولها ذات القلب الواحد. وتكرز بهذه التعاليم وتعلِّمها، وتسلِّمها بتوافق كامل، كما لو كان لها فم واحد.

فرغم أنَّ لغات العالم غير متماثلة، إلَّا أنَّ مضمون التقليد واحد وهو هو نفسه، لأن الكنائس التي تأسست في ألمانيا، لا تؤمن أو تسلِّم بأي شيء مختلف، ولا الكنائس التي في أسبانيا، أو التي في الغال (فرنسا)، أو التي في الشرق، أو تلك التي في مصر، أو ليبيا، ولا تلك الكنائس التي تأسست في المناطق المتوسطة من العالم.

ولكن كما أنَّ الشَّمس التي خلقها الله هي واحدة، وهي نفس الشمس في كل العالم، هكذا أيضًا فإنَّ كرازة الحقّ تضيء في كل مكان، وتنير كل الناس الذين يرغبون أنْ يحصلوا على معرفة الحقّ. ولنْ يعلِّم أي واحد من الرؤساء في الكنائس، مهما كان موهوبًا جدًّا من جهة الفصاحة، أية تعاليم مختلفة عن هذه. ومن الجهة الأخرى، لنْ يستطيع مَنْ هو ضعيف في التعبير أنْ يُسبب أي أذى للتقليد لأنَّ الإيمان لكونه دائمًا واحدًا وغير متغيِّر، فلن يستطيع مَنْ له القدرة أنْ يتحدث عنه كثيرًا أنْ يضيف إليه شيئًا، كما أنَّ مَنْ لا يُمكِنه أنْ يتحدث عنه إلَّا القليل، لنْ ينقص منه شيئًا...

الكنيسة الجامعة لها إيمان غير متغيّر في العالم كله.

السيدة أسپاسِيَّا پوغيوكو، أچيوس صوفيًّا ٦٤١ پاترا في اليونان، تقول:

لابنتي البالغة من العمر ثمانية عشر عامًا، ظهر على سطح بطنها، بثور حمراء اللون، خلال ثلاثة أيام انتشرت البثور حتى ظهرها وأخمص قدميها. وها الابنة تصف حالتها قائلة:

ذهبتُ لزيارة طبيب أمراض جلديَّة من ذوي الخبرة في عيادته، للكشف عن سبب وجود البثور وانتشارها. عندما قام الطبيب بالكشف عن حالتي، قال لي: لم أَر بأمّ عينيَّ مثل هذه الظاهرة من ذي قبل، ولي انطباع بأنَّ البثور ستبقى لأنَّ هذه حالة صعبة وغريبة. ورغم ذلك فأنا سأعطيك وصفة من المراهم والأدوية لمعالجة هذه الحالة.

قمت باستعمل المراهم والوصفة العلاجيَّة بتدقيق، إلَّا أنَّ الحالة ازدادت سوءًا، بدلًا من اختفاء البثور، ظهرت بثور أكثر حدَّة وانتشرت في معظم الجسم.

ذهبت إلى غرفة الطوارىء في مستشفى الجامعة في مدينة بيترا *(General University Hospital of Patras)* ، حيث قيل لي التوجُّه إلى قسم الجلد على وجه السرعة.

في قسم الأمراض الجلديّة اندهش الأطباء من حالتي الغريبة، حيث قالوا: إنَّنا لم نرَ مثل هذه الظاهرة وهذه الحالة مِن قَبل.

بعد أخذ العيِّنات والفحوصات اللازمة ، تبيَّن أنني أُعاني من أسوأ سرطانات الجلد الخبيثة.

عندها لم انتظر أي نوع من العلاجات الطبيّة.

لكنني مسحتُ بشكل صليب جسمي كلّه **بالطيب المقدس من دير العذراء ماليفي**، مع صلوات وتضرعات حارَّة.

حدثت الأعجوبة، وانحسر هذا المرض الخطير (**سرطان الجلد**)، وأنا الآن سعيدةٌ جدًّا بسبب حالتي الصحيَّة.

أشكر **العذراء مريم** على شفائها لي ومعونتها التي لا تُثَمَّن.

« وكما أنَّ الأدوية والجراحة والمعالجة بالكيّ هي للطبيب كذلك التأديب هو لله. وكما تُستعمل النَّار كثيرًا للمعالجة بالكيّ لمنع انتشار العدوى، وكما تزيل أداة صلبة اللحم المتعفن – مسببة ألمًا ، لكن مقدمة نفعًا – كذلك الجوع والمرض والتجارب الظاهرة الأخرى تستخدم على الرُّوح بدلًا من النَّار والأداة الصلبة، لمنع انتشار المرض ولكي تجعل الرُّوح أفضل».

القديس يوحنا ذهبي الفم
(عظة ٥ على مثل الغني ولعازر)

« فلنشترك إذن، بكل ثقة، في جسد المسيح ودمه. إنَّ جسده يُعطَى لك تحت شكل الخبز، ودمه يُعطَى لك تحت شكل الخمر، وإذ أنت تشترك في جسد المسيح ودمه، تصبح جسدًا واحدًا ودمًا واحدًا مع المسيح. وهكذا نصبح نحن «حاملي المسيح»، بما أنَّ جسده ودمه ينتشران في أعضائنا، وبهذه الكيفية نصبح – على حد تعبير الطوباوي بطرس – «شركاء الطبيعة الإلهية».

القديس كيرللس الأورشليمي _ القرن الرابع _ عظة ٢٢

حملان (1) وسط ذئاب

للقديس يوحنا الذهبيّ الفم

✝ «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ فِي وَسْطِ ذِئَابٍ، فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ.» (مت ١٠: ١٦).

بعدَ مَا طمأن **الرَّبّ تلاميذه** على ضروريات حياتهم في إرساليتهم، وبعدَ مَا سلَّحهم بقوَّة إجراء المعجزات؛ تكلَّم معهم عمَّا هو عتيدٌ أنْ يصيبهم، هم ومَنْ سيأتي بعدهم على كُرور العصور، وأعدَّهم منذ الابتداء للحرب **ضد الشَّيطان** مُسبقًا قبل أنْ يحدث ذلك بوقتٍ طويل، وبهذا حقَّق لهم عدة فوائد:

أولًا، لقد أدرك التلاميذ قوة علمه السَّابق؛ ثانيًا إنَّهُ ثبَّتهم حتى لا يشكَّ أحدٌ أنه بسبب ضعف معلِّمهم **أتت عليهم الشُّرور**؛ وثالثًا، إنَّهُ شدَّدهم حتى لا يُصْدَمُوا بهذه الأمور عند حدوثها كما لو كانت غير متوقَّعة وعلى غير ما كانوا يظنون؛ وأخيرًا فإنَّهُ أعدَّهم حتى لا يضطربوا عندما يسمعون **عن الضيقات** وعندما يتواجهون مع الصليب، لأنهم كانوا منزعجين حقًّا في ذلك الوقت حينما وبَّخهم قائلًا: «وَأَمَّا الآنَ فَأَنَا مَاضٍ إِلَى الَّذِي أَرْسَلَنِي، وَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْكُمْ يَسْأَلُنِي: أَيْنَ تَمْضِي؟ لكِنْ لأَنِّي قُلْتُ لَكُمْ هذَا قَدْ مَلأَ الْحُزْنُ قُلُوبَكُمْ.» (يو١٦: ٥-٦).

ولنلاحظ أنه حتى ذلك الحين لم يكن قد قال لهم شيئًا عن نفسه، مثل أنه سيُوثَق ويُقبض عليه ويموت، وذلك حتى لا ينشغل بالهم، بل أعلن لهم فقط في ذلك الوقت ما يتعلَّق بأنفسهم هُم.

وقد أراد **الرَّبّ** أن يُعلِّم تلاميذه أنَّهم بصدد مجال جديد للنضال، وأنَّ أسلوب استعدادهم لهذا المجال ليس مألوفًا لديهم. فها هو يرسلهم مجرَّدين وبلا ثوب (إضافي) ولا أحذية ولا عصا ولا كيسًا ولا مذودًا، ويأمرهم أنْ يقبلوا أنْ يُعالوا مِمَّن يقبلهم. وهو لم يُقصِر حديثه عند هذا الحَدِّ، بل أوضح قُوَّته التي لا يُعبَّر عنها بقوله لهم: وحينما تمضون هكذا، أَظهِروا وداعة الحملان رغم أنكم ذاهبون إلى **ذئاب**، ليس فقط ذاهبون إلى **ذئاب** بل أيضًا ستعيشون وسطهم.

إنَّهُ يأمرهم، ليس فقط بوداعة الحملان، بل أيضًا ببساطة الحمام. وكأني به يقول: لأني هكذا سأُظهِر قوَّتي كأعظم ما تكون، حينما تصبح الحملان أفضل من **الذئاب**، حتى وهي وسط **الذئاب** وتتلقَّى منها آلاف النهشات **والذئاب** أبعد مِنْ أنْ تلتهمهم؛ بل بالعكس فإنَّ الحملان هي التي ستترك تأثيرها عليها، وهذا أمرٌ أعظم جدًّا وأكثر عُجْبًا مِنْ أنْ تقتلها. فهي عتيدة أنْ تُغيِّر روحها وأنْ تُقَوِّم عقلها، هذا مع كونهم اثني عشر رسولًا فقط وسط العالم كله **المليء بالذئاب**.

إذن، فليتنا نحزى نحن الذين نفعل العكس، الذين ننطلق **كالذئاب** على أعدائنا. ولكن طالما نحن حملان فسوف نَغلِب، حتى ولو كان هناك **عشرة آلاف ذئب** يحومون حولنا، فنحن سنغلبهم بالخير والمحبة. أمَّا إذا جعلنا أنفسنا **ذئابًا** فسوف نصير على حالٍ أسوأ، لأنَّ معونة راعينا ستتخلَّى عنا، لأنَّ **الرَّبّ لا يعول الذئاب بل الحملان**. إنه يتركنا ويعتزل، لأنَّنَا لا نعطيه الفرصة ليُظهِر قُوَّته معنا. فإنْ وَضَعْنَا في اعتبارنا أنَّ كُلّ النصرة تأتي مِنْ لَدُنِهِ، فإنْ أصابنا أيُّ سوءٍ، فحينئذ سيُظهر لطفه معنا بقوَّة. أمَّا إن كُنَّا نَرُدُّ على الضربات فإننا نُظهر بذلك أننا نتجاهل نصرته.

ولكني أتوسل إليكم أنْ تسألوا أنفسكم: مَنْ كان أولئك الذين وُجِّهت إليهم **هذه الوصايا الصعبة والشَّاقة؟** إنَّهم أولئك الوَجلون الأُمِّيّون غير المتعلمين ولا المهذَّبين، خاملوا الذِّكر من كل ناحية، الذين لم يتدرَّبوا قَطُّ على شرائع الأمم، الذين لم يتهيَّأوا ليُقدِّموا أنفسهم في المواقف العامة، الصيَّادون والعشَّارون، أُناسٌ ذوو ضعف شديد. لأنَّهُ إنْ كانت هذه الصعوبات كافية لأنْ تُخْبِطَ الأكابر والعظماء، فكم بالأَوْلى تُثني وتُفشِل غير المدرَّبين في أي ناحية، وعلى الأخص مَنْ لم يتمتعوا قَطُّ بأية قدرات ذهنيَّة عظيمة؟ ومع ذلك فلم تثنِ هذه الضيقات عزائمهم.

ورُبَّ مَن يقول: إنَّ ذلك أمرٌ طبيعيٌّ جدًا، لأنَّهُ أعطاهم قوَّة لتطهير البُرْص **وإخراج الشياطين**. ولكني أُجيبه هكذا: إنَّ نفس هذا الأمر

كان كافيًا ليُحيِّرهم أكثر، لأنه بالرَّغم مِنْ إقامتهم للموتى كانَ عليهم **أنْ يجوزوا في تلك الشُّرور المُتعبة، عَبْرَ المحاكمات والاضطهادات والحروب** التي سيُثيرها الجميع ضدهم، فضلًا عنْ **بُغض العالم** لهم بصفة عامة، فكيف تقابلهم كل هذه الفظائع وهم يُجرون كل هذه المعجزات؟ فماذا كانت، إذنْ، تعزيتهم عِوَضَ هذه الضيقات جميعًا؟ إنها قوَّة ذاك الذي أرسلهم. لذا فهو يضع هذه الكلمات أمامهم قبل أي شيء آخر: «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ». وهذا يكفي لتشجيعكم حتى تأمنوا ولا تخشوا أحدًا مِمَّن يعتدي عليكم.

فهل أنتَ ترى سلطةً أو امتيازًا أو قوَّةً غير مقهورة؟ إنَّهُ يعني بها، كما يُفهم مِنْ كلامه، ألَّا تضطربوا حينما آمركم بِأنْ تكونوا مثل الحملان والحمام، وأنا أُرسلكم **وسط الذئاب**، لأني بالحقيقة كنتُ أستطيع أنْ أفعل العكس، فأجعلكم لا تُقاسون أية أهوال، ولا تتعرضون **للذئاب**. كنتُ أستطيع أنْ أجعلكم أقوى جدًّا مِنَ الأسود، ولكن كان مِنَ المناسب أنْ تكونوا هكذا، فإنَّ هذا يُمجِّدكم أيضًا أكثر ويُعلن عن قُوَّتي أكثر.

لقد قال **الرَّبّ** هكذا **لبولس**: «تَكْفِيكَ نِعْمَتِي، لأَنَّ قُوَّتِي فِي الضَّعْفِ تُكْمَلُ» (٢كو١٢: ٩)، ولاحظوا الآن أنِّي أنا الذي تسببت في أنْ تكونوا هكذا، وهو يشير إلى ذلك بقوله: «هَا أَنَا أُرْسِلُكُمْ كَغَنَمٍ». فلا تجزعوا إذن، لأني أعلم – أعلم يقينًا – أنَّهُ بهذه الوسيلة أكثر مِنْ أي وسيلة أخرى ستكونون غير مقهورين مِنَ الجميع.

بعد ذلك فإنْ كان هؤلاء الرُّسل ينسبون شيئًا لذواتهم، أو إنْ كانوا يتصوَّرون ألَّا شيء يبدو أنه مِنْ عمل النعمة، أو كأنه بحكمتهم سوف يُكلَّلون، لذا قال: «فَكُونُوا حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ.» (مت١٠: ١٦).

ولكن رُبَّ سائل يسأل: هل حكمتنا ستُلازمنا عند الأخطار الداهمة؟ لا. بل كيف سيمكننا اقتناء الحكمة أساسًا **حينما تطغى علينا الأمواج الكثيرة؟** لأنه دَعِ الحَمَل يكون وديعًا دائمًا وهو وسط **الذئاب الكثيرة جدًّا**، فماذا تُراه يستطيع أنْ يفعل؟ ودَعِ الحمامة تكون دائمًا بسيطة، فماذا تُراها ستنتفع حينما تُصوَّب السهام لتقضي عليها؟ نجيبه: إنَّ هذا في الواقع لا يَصْدُق مطلقًا **مع العجماوات**، أمَّا معك فسيَصْدُق كثيرًا وبلا شَكّ.

ولكن دعنا نرى أيَّ نوع مِنَ الحكمة يتطلَّبها منا **الرَّبّ**، إنه يقول: «حكمة الحيَّة»، لأنَّهُ حتى وإنْ فَقَدَ هذا الحيوان كل شيء، وإنْ كان يمكن أنْ يُقطع كل جسمه، فهذا لا يهمّه كثيرًا في سبيل انقاذ رأسه. **فالرَّبّ** يقول: افعلْ أنت أيضًا هكذا. فرِّط بكل شيء عدا الإيمان، فالممتلكات والجسد والحياة ذاتها يمكن أنْ تخضع لكل هذا. أمَّا الرأس فهو الأساس، وإنْ حُفِظَ لك الرأس (أي الإيمان) رغم فقدانك كل شيء، فسوف تسترجع الكلَّ بوفرة، بل وبأعظم جدًّا مما كان.

وعلى ذلك فهو لم يأمر أنْ يكون لنا القلب البسيط سليم النيَّة فقط، ولا مُجرَّد الحكمة فقط، بل فقد ربط بين الاثنين حتى يصيرا معًا **فضيلة**. فنتَّخذ لنا **حكمة الحيَّة** حتى لا نُصاب في أكثر الأمور حيويَّة لدينا، وكذا تكون لنا بساطة وسلامة قلب الحمامة حتى لا نثأر من **فاعلي الشَّر** معنا فلا ننتقم لأنفسنا مِمَّن يتآمرون علينا، حيث إنَّ الحكمة لا تكون ذات جدوى إلَّا إذا أُلحقت بها **البساطة**.

والآن لنتساءل: هل هناك ما هو أقسى من هذه الوصايا؟ أَلاَ يكفي فقط احتمال **الشَّر**؟ إنَّهُ يجيب: لا، لأني لا أسمح لكم قط أنْ تكونوا ساخطين، وهذه هي صفة «**الحمامة**». كما لو أَلْقَى إنسانٌ قصبة في النَّار ويأمرها ألَّا تحترق بالنَّار، بل بالحريِّ أنْ تنطفئ.

ومع ذلك فليتنا لا نَضطرِب. كَلَّا، لأن هذه الأمور قد حدثت فعلًا، وقد تمَّت فعلًا، وقد أُظهِرَت بالحقّ تمامًا، وقد صار الناس حُكَمَاءَ كَالْحَيَّاتِ وَبُسَطَاءَ كَالْحَمَامِ. وقد تمَّ هذا ليس لأنَّهُ قد صارت لهم طبيعة أخرى غير تلك التي لنا، فَهُم مِنْ نفس طبيعتنا فعلًا.

وليت لا يظن أي واحد أنَّ هذه الوصايا غير عمليَّة، لأنَّ **الرَّبّ** يعرف طبيعة الأمور أكثر مِنْ جميع الآخرين. إنَّهُ يعرف أنَّ العُنف لا يخمده العُنف بل الكياسة. وإنْ كنتَ تريد أنْ ترى هذه النتيجة مُنفَّذة فعلًا في أعمال الناس أيضًا، فاقرأ سفر أعمال الرسل، وسوف ترى كيف أنَّهُ كثيرًا ما **ثار اليهود** ضِدّ هؤلاء **الرُّسل وصرُّوا** بأسنانهم عليهم؛ أمَّا هُم فإذ كانوا يتشبَّهون بالحمامة فيُجيبون بوداعة لائقة أَذْهَبَتْ عن الغاضبين غضبهم، وأخمدت جنونهم، وكسرت حدَّة اندفاعهم. كما حينما قالوا لهم: «أَمَا أَوْصَيْنَاكُمْ وَصِيَّةً أَنْ لاَ تُعَلِّمُوا بِهذَا الاسْمِ؟» (أع٥: ٢٨). ورغم أنَّهم كانوا قادرين على أنْ يُجروا المزيد مِنَ المعجزات، إلَّا أنَّهم لم يقولوا ولم يفعلوا أيّ شيء بعنف؛ بل أجابوا عن أنفسهم بكل وداعة قائلين: «إِنْ كَانَ حَقًّا أَمَامَ اللهِ أَنْ نَسْمَعَ لَكُمْ أَكْثَرَ مِنَ اللهِ، فَاحْكُمُوا.» (أع ٤: ١٩).

فهلَّا رأيتَ **وداعة الحمامة؟** انظر جيدًا إلى **حكمة الحيَّة**: «لأَنَّنَا نَحْنُ لاَ يُمْكِنُنَا أَنْ لاَ نَتَكَلَّمَ بِمَا رَأَيْنَا وَسَمِعْنَا» (أع ٤: ٢٠). أَلاَ ترى كيف يجب أنْ نكون نحن كاملين في جميع الأمور حتى لا نصغر أمام الخطر فنثور من قبيل الغضب!

(1) NPNF, 1st. Series, Vol. X; Saint John Chrysostom, H. on Matthew, p. 219

لا تيأس، حذار اليأس!

« أنّي أُكرر ألف مرّة: إذا خطئت كُلّ يوم فتُب كُلّ يوم، نعم إنك ستخلص لأنَّ الرَّبّ يشمل البشر بعطف لا حدَّ له .. توبتك وحدها لا تستطيع أن تمحو جرائمك، ولكنها تستطيع ذلك إذا رافقتها رأفة الله غير المحدودة ... ذنبك ذنب إنسان، وهو من ثم محدود، والرحمة التي تغفر هي رحمة الله، وهي من ثم غير محدودة»

القديس يوحنا ذهبي الفم _ عظة 31 رو

– كثيرًا ما نسمع قصصًا تُنسب إلى **الفيلسوف اليوناني القديم** «**سقراط**». وبالرغم من أنَّهُ كما يُذكر عنه كان يعيش في التاريخ السَّحيق، فلا يُعرف ما إذا كان قد قال هذه القصص أم لا، إلَّا أنَّهَا تحوي من القِيَم والمُثُل الجديرة بسردها، ما نحتاج إلى تذكُّرها في أيامنا الحاضرة. وهذه هي **إحدى هذه القصص**:

– فقد اشتُهِرَ عن **سقراط** هذا أنَّهُ يحمل في نفسه **معرفة فائقة**. فقد قابله – يومًا ما – أحد معارفه، فطفق يقول له:

– « أَلاَ تعلم ما سمعته حالًا عن صديقك (...)».

فأجابه **سقراط**:

– « مهلًا دقيقة من فضلك! فقبل أن تُخبرني بأيّ شيء، فإنِّي أُريد أن **تَعْبُر** على اختبار صغير. إنه اختبار "**المِصْفاة المثلَّثة**" »!

– فردَّ عليه مُتعجِّبًا: "**المِصْفاة المثلَّثة**" ؟

فأكمل **سقراط** كلامه قائلًا:

– «نعم، فقبل أن تُخبرني عن صديقي، فمِن المُستحسن أن تتمهَّل لِلَحظة وتُصَفِّي ما تنوي أنْ تقوله. وهذا هو السبب الذي أطلقت عليه اسم اختبار "**المِصْفاة المثلَّثة**" ».

واستطرد قائلًا:

– «فأول مِصْفاة هي "**صِدْق ما ستقوله**". فهل أنت متأكِّد تمامًا ومُطلقًا بأنَّ ما تنوي أن تقوله هو حقيقي»؟

فردَّ الرجل:

– «لا، فالحقيقة أني سمعتُ عن ذلك، و...».

فقاطعه **سقراط** قائلًا:

– «حسنًا جدًّا، إذن، فأنت لا تعرف ما إذا كان ما ستقوله حقيقة أم لا. والآن، هَلُمَّ نجرِّب المِصْفاة الثانية، إنها "**الصلاح**"، أي نوعية الخبر: خبر سار أم خبر سيِّئ. فهل أنت تنوي أنْ تُخبرني به عن صديقي أمرٌ صالح أم لا»؟

– « لا، على العكس...».

وقاطعه **سقراط** مرة أخرى، واستطرد في الحديث قائلًا:

– « إذن، فأنت تريد أنْ تُخبرني بأمرٍ سيِّئ عنه، كما أنك لستَ متأكِّدًا ما إذا كان حقيقة! وما زال عليك أنْ **تَعْبُر** على الاختبار الثالث: "**المِصْفاة النفع**".

فهل ما أنت تريد أنْ تُخبرني به عن صديقي سيؤول لي إلى نفع أم لا»؟

– «**لا، ليس بذي نفع لك**».

وأكمل **سقراط** حديثه:

– « فإذا كنتَ تريد أن تُخبرني بما ليس هو حقيقة، ولا صالحًا، ولا حتى نافعًا لي؛ فلماذا تُخبرني به أصلًا »؟

وانصرف الاثنان.

– إنَّ **الكتاب المقدس** وتعاليم **الآباء القديسين** يوصيان بعدم الاستماع **لكلام النميمة والوشاية والأخبار غير المؤكَّدة ولا بالترويج لها:**

✝ «اَلْغَبِيُّ يُصَدِّقُ كُلَّ كَلِمَةٍ» (أمثال ١٤:١٥).

✝ «خفيف العقل يُسرع إلى التصديق» (ابن سيراخ ١٩:٤).

✝ «لا تُصدِّق كُلّ ما تسمع، فما أكثر الإشاعات الكاذبة» (ابن سيراخ ١٩:١٥).

– أما عن ترويج الإشاعات الكاذبة:

✝ «لا تنقل إلى الآخرين ما تسمعه، فبذلك يُصيبك (ويُصيبهم) ضرر» (ابن سيراخ ١٩:٧).

✝ «لا تُثرثر على أحد، صديقًا أم عدوًّا» (ابن سيراخ ١٩:٨).

✝ «النمَّام يُلوِّث سمعته، ويكون مكروهًا في محيطه» (ابن سيراخ ٢١:٢٨).

– أما الآباء النسَّاك فيوصون تلاميذهم:

«إن سمعتَ كلامًا غير لائق، فلا تُبلِّغه لآخر».

«إن سمعتَ أخًا يدين آخر، فلا توافقه، لئلا يغضب **الله**».

(بستان الرهبان – ص ٧٥)

«من الأشياء التي تلد الخطيَّة: نقل الكلام من أُناس إلى أُناس».

(بستان الرهبان – ص ٨١)

✝ **ليت أولاد الله يسلكون بحسب الناموس الإلهي والأدب المقدس في حِفظ اللسان والفم مِنْ دنس كلام النميمة والوشاية والأخبار غير المُؤكَّدة.**

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

الفصل السادس عشر

«المرأة الجاهلة صخَّابة غِرّة، لا تدري شيئًا. فتجلس عند باب بيتها عند كرسيّ في مشارف المدينة لتدعو عابري الطريق المستقيمين في سُبلهم». (ام ٩:١٣-١٥).

«بل شعرنا في ضميرنا بقضاء موت لئلا نتكل على أنفسنا بل على الله الذي يقيم الأموات». (٢ كو ١:٩).

لكن يبدو أنَّ ساعته لم تكن قد أتت بعد.

كان القرن العشرون في مطلعه، يفتخر بإمكانية آستعادِهِ للإنسان، واصَلًا على عربة كبيرة مُذَهَّبة، كما يحصل عادة في الكرنڤال ... وفي الوقت نفسه كانت مأساةٌ تبدأ.

كانت الحضارة الغربيّة في وسط أوروبا مَزْهُوَّةً بانتصار الرياضيات والكيمياء والاكتشافات الجديدة. وقد أدَّى **هذا الافتخار بالعلم** إلى تخريج مجموعات من الجامعيين **الوَقِحين** الذين يحملون شهاداتهم ويُعلنون في كُلِّ مكان **بأنَّ الأديان قد انقضَى عَهدُهَا**، وأنَّ الكنيسة ماتت. وبالطبع فقد وصلت جميع هذه الشعارات إلى اليونان في الوقت الذي خرجت هذه البلاد من **حَرب ١٨٩٧ المشؤومة**، وهي فقيرة، مُهَشَّمة وفريسة للديماغوغيين.

وكان المتخرجون اليونانيون يعودون من الجامعات الأوروبيَّة حاملين في حقائبهم أفكارًا جديدة، ورغبة **بمحو الحضارة الرومية (البيزنطية)** القديمة بأسرع ما يمكن، وكانوا يريدون الظهور أمام المجتمع العِلمي الدُوَلِي وكأنَّهم خُلفاء الأقدمين الذين نحتوا حجارة تاريخ عمره ثلاثة آلاف سنة.

كان المتروبوليت جرمانوس كاليغاس قد تُوفِيَ منذ بعض الوقت وحَلَّ مكانه **بروكوبيوس الثاني (ايقونوميدس)**.ولم تكن هذه الشعارات قد بدأت تنتشر بين صفوف الشعب حتى انفجرت قضيّة «الأناجيل». كانت **الملكة أولغا** قد قرَّرت أنْ تُدخِل إلى مناهج التعليم المدرسي الأناجيل وأسفار العهد القديم التي تُرجِمَت من قِبَل بعض الأشخاص الذين تثق بهم. وكان **بروكوبيوس الثاني** يعاونها في ذلك ضمنيًّا.

كانت هذه صدمة جديدة يتلقاها **الإيمان الأرثوذكسي المُحَارَب مِنْ كُل جهة**. وبدأ كاتب شعبي يعيش في الغرب ضمن **أوساط بروتستانتية**، بنشر إحدى هذه الترجمات في صحيفة يوميَّة، رغم احتجاج **المجمع المقدَّس وثلاث بطريركيات**.

فَرَدًّا على هذا الوضع، قامَ جميع التلاميذ كَرَجُلٍ واحد، ونَظَّموا

تظاهرة ضخمة في ٨ تشرين الثاني ١٩٠١ سقط خلالها ثمانية قتلَى وخمسة وتسعون جريحًا. **وكانت الملكة والمتروبوليت متورِّطَيْنِ في هذه القضيَّة**. فسقطت الحكومة التي كانت تحاول جاهدة في ترميم الأنقاض، وإعادة بناء هذا البلد الصغير منذ العام ١٨٩٩. كما عُزِلَ **المتروبوليت** . وفي خِضَمِّ كُل هذه الاضطرابات، ما كان سيحدث لهذا الشعب الفقير الذي ما زال يعمل مِنْ أجل كَسب عيشه؟

لقد **عَمَّ الفقر** جميع أنحاء البلاد. وعندما يصيب الفقر الطبقات المتوسطة أو عُمَّالًا غير متعلمين، ولكنهم يقتنون الإيمان والصبر، فانَّ الأمر لا يثير ضجة ولا يتكلَّم عنه أحد. ولكنه يظهر **من خلال الثياب الرَّثة والمرض والموت**. كان **الفقر وداء السِّل** يحصدان الجياع في المدن. وصار الناس يتدافعون بأَعدَاد مُتزايدة على مشارف المدرسة، يطلبون الأمل المفقود الذي لا يجدونه **إلَّا عند الأم الرُّوحيَّة، الكنيسة الأرثوذكسيَّة** التي قدَّمت لهم العون طوال أربعمئة سنة خلال **مجازر المحتل التركي**. وها هم يغطُّونها كُل يوم بالتراب والأقذار ويرمونها بالحجارة (أي الكنيسة).

وكانوا يتزايدون مدفوعين بمآسيهم ويأسهم، ويبحثون ولو عن رَجُل واحد حَفِظَ الإيمان المقدَّس في قلبه دون زَيْغٍ.

فكان يبدو أنَّ الوقت لم يحن بعد لكي يترك نكتاريوس المدرسة والتعليم، رغم أنَّه أوشكَ بلوغ السادسة والخمسين من العمر، وقد آبيَضَّ شعره ولحيته مِنَ النُسك. كان يمضي أيامه في الأصوام والصلاة العقليَّة، وكان يعرف ما يجهله الكثيرون: أو ما لا يقربونه إلَّا بتردُّد وفتور: **الله**، ووصاياه على الأرض، والضِّعَةُ والعدالة والمحبة والنور ...

كان مرَّة في كنيسة عذراء المغارة الذهبيَّة في **شارع أيولو**. فرأى خلال قداس الأحد الإلهيّ كاهنًا يلبس **ثوبًا ممزَّقًا**. فخلع جبّته في الحال دون تفكير وأعطاه إياها. ودهش الكاهن الذي يقيم القدَّاس معه. وصمت عن الكلام. أمَّا نكتاريوس فقد عاد إلى المدرسة بجبَّة الكاهن الآخر، الصفراء البالية. وإذ سأله: «ماذا ستفعل دون جبَّتك؟».

أجاب نكتاريوس: « لا بأس، فسأجد غيرها ».

وما أن رآه أمين السِّرّ يدخل على عجل إلى حُجرته حتى ناداه:

– ماذا حصَلَ لك هذه المرَّة أيضًا يا سيِّدي المدير؟ هل تعرَّضتَ للسرقة على يد الأشرار؟ ولكنك لا تتصرَّف بمنطق، ألَا تُقَدِّر أهميَّة الموقف؟».

(التتمة في العدد القادم)

جمعها الأب فرنيزوس، خادم كنيسة القديس في بروكوبي – آفيا

الدكتور ماجوروس طبيب من مدينة لِمني الصغيرة القريبة من بروكوبي (**حيث تقوم كنيسة القديس يوحنا الرُّوسي وفيها يوجد جسد القديس يوحنا الرُّوسي كاملًا**).

كتب الطبيب إلى أسقف خالكيس خريسوستوموس: «نيافتك، أنا لست مهووسًا دينيًّا ولست أُميًّا، إنني **طبيب وملحد** سابقًا. لقد وقعت مريضًا. أُجريت الفحوصات المخبرية والطبية وكانت النتائج **سرطانًا في المعِي الغليظ (القولون)**. لم يُخفِ عني زملائي الأطباء أي شيء. فقد كان **سرطانًا من النوع الخبيث** في مكان حتمًا إلى الموت».

«كنتُ في **مستشفى الباندوكراتور (الضابط الكل) للسرطان في أثينا** عندما أخبرني الأطباء بهذا. بعد ذلك، وحيدًا في غرفة المستشفى، عُدْتُ إلى حواسي وحوّلت عقلي وروحي وقلبي إلى **الله الذي كنت لا أؤمن به قبلًا**. لقد كنت جالسًا على سريري وقدماي على الأرض. بدأت أتكلم وأصلي إلى الله. لقد طلبت منه أن يعتني بي. لقد قلت:« **إلهي لم أؤمن بوجودك. لقد قلتُ أنك أسطورة وأنَّ الإنسان والعلم هما الأشياء المهمة. لم يبقَ أي معنى لأي شيء الآن. إقبل توبتي وإذا وجدتني مستحقًا وبمساعدة القديس الذي نملك جسده المقدس في منطقتنا اشفِ مرضي**».

سمعت طَرقًا على الباب، قلت: «أدخل».

انفتح الباب ودخل **طبيب شاب وسيم، مملوءٌ لطافة**. سألني: «كيف حالك أيها الطبيب ماجوروس؟ كيف تشعر؟»

«ماذا في استطاعتي أن أفعل أيها الزميل، الظاهر أَنَّني **سأموت**».

«كلا أيها الطبيب، لن تموت. سأستأصل ما في أحشائك».

«مَنْ أنتَ أيها الشَّاب! لقد شاب شعري في خدمة مهنتي وأعرف الذي أعاني منه».

«أنا هو الذي طلبته قبل قليل. وداعًا أيها الطبيب».

وحالًا ركضتُ خارجًا إلى أروقة المستشفى لكي أكتشف من كان زائري. وقد قال لي الأطباء إنه كان حُلمًا لمع في عقلي برهة مِنْ جراء حُزني. ولكن هذا لم يكن كذلك، لقد تكلمتُ إلى الله أولًا ومن ثمّ إلى **القديس يوحنا**. لم أنخدع وَأَصَرّيتُ على إجراء **فحص طبيّ جديد**.

أناسٌ لا عدد لهم رأوا المِلَفَّيْنِ الطبِّيَيْنِ مع نتائج الفحوصات. واحد **يبين السرطان** والآخر خالٍ منه.

«نيافتك، أنا لست مهووسًا دينيًّا... لقد **رأيت القديس**. لقد شفيت». **١٠ نيسان ١٩٦٤**.

«إن العليّ ألهم الناس العلم لكي يمجَّد في عجائبه» (حكمة ابن سيراخ٣٨: ٦، الترجمة السبعينية).

نقلتها إلى العربية سعاد رزوق

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح
المحرّر المسؤول:
هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح
كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩
e-mail: light_christ@yahoo.com
http://lightchrist.org/bulletins.html
لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم:
12-726-111122